



كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار

قاسيون

اسبوعية - 24 صفحة • العدد «50» ل.س • دمشق ص.ب «35033» • تليفاكس «00963 11 3120598» • بريد الكتروني: general@kassioun.org

الأجر اليوم يجب ألا يقل
عن 490 ألف ليرة!

[12]



الافتتاحية

«المكونات»

وسورية القديمة والجديدة!

تطرح المناظر الإعلامية والسياسية هذه الأيام، وعلى عتبة الفصل الأخير من الأزمة السورية، بتحليلات وطروحات تعالي شأن الحديث عن «المكونات» و«الأقليات» و«الأكثرية» والتوافق والتوفيق بينها في سورية الجديدة.

يتضمن الحديث أيضاً، كلاماً عن «ديمقراطية المكونات» والتي تشكل عودة بالزمن قروناً إلى الوراء، إلى ما قبل الدولة الوطنية، حيث المواطنة المتساوية بغض النظر عن القومية والدين والطائفة والعشيرة.

الأشد خطورة، هو محاولة البعض العودة إلى تاريخ نشوء سورية نفسها كدولة في بدايات القرن الماضي لتتوهم ذلك التاريخ، وتحويله إلى أداة في الصراع الراهن حول مستقبل سورية.

في هذا السياق، يروج البعض لمقولة أن الآباء المؤسسين لسورية إنما توافقوا فيما بينهم وفي خضم الثورة السورية الكبرى، على أساس تمثيلهم لـ«مكوناتهم». ويستنتج هذا البعض أن التأسيس لسورية الجديدة يحتاج إلى نوع ما من «توافق المكونات».

إن هذا الطرح بأسره حول الآباء المؤسسين، هو طرح معاكس للحقيقة، وطرح مسمي لقمات وطنية كبرى امتازت قبل كل شيء بزهدها في المناصب والامتيازات، إذ إن أي حديث عن توافق على أساس المكونات لا يكون صحيحاً دون وجود «تحاصص» بينها، وهو الأمر الذي لم يوجد يوماً لا في فكر الآباء المؤسسين ولا في ممارستهم الواقعية، ولا في ثورتهم السورية الكبرى.

محاولات تكريس الخطاب «الأقوي والأكثرية» على الأساس الطائفي والقومي، هي محاولات تندرج بالضبط في المخططات الأمريكية والصهيونية، لنقل سورية من أزمته الراهنة إلى أزمات متعددة أشد عمقاً وأعتى تخريباً وتدميراً، ولتحويلها من دولة واحدة تسود فيها بنية سياسية واقتصادية فاسدة ولكن مركزية، إلى دولة «أو دول» تسودها مجموعة من أمراء الحروب والطوائف والقوميات، وكل ذلك تحت مسميات مخادعة وكاذبة تدعي الحرص على «المكونات» وحقوقها.

المشكلة في سورية لم تكن يوماً بين «مكون» وآخر، رغم أن سياسات تمييزية بعينها كانت إحدى الأدوات المستخدمة في التفريق بين السوريين والتعمية على الفرز الحقيقي لهم، بين قلة ناهية وقامعة عابرة للطوائف والقوميات، وبين أغلبية منهوبة ومقموعة، وعابرة أيضاً للطوائف والقوميات.

كان المطلوب ولا يزال، ديمقراطية سياسية لا ما يسمى ديمقراطية مكونات، الديمقراطية السياسية تعني: اصطفاك الناس على أساس مصالحهم العميقة، والاقتصادية الاجتماعية بالدرجة الأولى. اصطفاك من هذا النوع، هو وحده ما يمكنه الحفاظ على سورية موحدة، وهو وحده الأساس لتجميع نضالات المنهوبين في وجه ناهبيهم الداخليين والخارجيين.

ينبغي أن يبقى في البال، أن أولئك الذين يهللون لمسألة «المكونات» من القوى المحلية، إنما يحاولون تحويل السوريين إلى مجموعة قطاعان طائفية وعشائرية وقومية صماء، بغية التسلق عليها وادعاء تمثيلها لا لشيء سوى سرقة ذلك التمثيل وتحويله إلى أساس تفاوضي لأمر الحرب فيما بينهم.

إن القرار 2254 الذي يعني في جوهره حق الشعب السوري في تقرير مصيره، يعني حقهم كسوريين في تقرير مصيرهم، لا كطوائف وقوميات و«مكونات»... القلة الناهية والأعداء التاريخيون للبلاد وشعبها، هم فقط أصحاب المصلحة في تفرقة الشعب السوري إلى «مكونات». الأكثرية المنهوبة هي فقط صاحبة المصلحة الحقيقية في وحدة سورية، وفي تكريس اصطفاك وطني يكون حكماً أساسياً ضمنه: الموقف الاقتصادي الاجتماعي المنحاز للشعب، والموقف الوطني المنحاز ضد الصهيوني والأمريكي.

شؤون محلية



9,3 مليون سوري يعانون
من انعدام الأمن الغذائي

10

ملف «سورية 2020»



عن السياسة
بوصفها احتيلاً

06

ملف «سورية 2020»



الشمال السوري.. تجاذب
قومي وحرب بيانات

05

شؤون عمالية



أسئلة
أمام النقابيين

03

ماركس «يقلب الطاولة» ويقول: العمل أبو الثروة وأمها



بصراحة

■ محمد عادل اللحام



شو جابر ك ع المر؟ قله: الأمر منه!

الوضع المعيشي للطبقة العاملة وعموم الفقراء يسير بتسارع نحو المزيد من التدهور، وقلة الإمكانية في تأمين الضروريات اللازمة لإبقائهم وأسرهم على قيد الحياة، وهذا الواقع الموصوف ليس فيه من المبالغة في شيء، فهو واقع معاش بتفاصيله الرديئة، وبمنظرة واحدة إلى السوق وما تطرحه من مواد وما يرافقها من أسعار يظهر حجم الكارثة التي تعيش فيها الطبقة العاملة، والذي زاد الطين بلة في الفترة الأخيرة من تصاعد قيمة الدولار بالنسبة لليرة السورية، أن الكثير من العمال بدأوا يفقدون عملهم بمن فيهم عمال المصانع، التي أخذ أصحابها قرارهم بالوقف الجزئي أو الكلي للإنتاج، وهذا يعني حصول العمال على نصف أجورهم أو البعض لا يحصل على هذا الجزء.

العمال أمامهم خيارات صعبة أحلاها مر، هذا إذا كانت الخيارات أمامهم مفتوحة وهنا تكمن الصعوبة في أن يتمكن العمال من الدفاع عن لقمتهم سواء كانوا على رأس عملهم، أم كانوا معطلين عن العمل بسبب الأوضاع المستجدة المرتبطة بالمعامل التي يعملون بها.

العمال القائمون على رأس عملهم يبحثون عن خيارات قد تنقذهم بعض الشيء مما هم فيه من فاقة وعوز وقلة ذات اليد، ولكن أيضاً خياراتهم صعبة ومكلفة، وقد تكون كلفتها عالية، لأن هناك مجموعة من العوامل تحيط بالعمال وتجعل من خيارهم الصعب ذا كلفة عالية، منها: قانون العمل رقم 17 وما يحويه من مواد تمكن رب العمل بالرد على العمال بقسوة، وهناك موقف النقابات التي هوأها ليس مع العمال في خياراتهم الصعبة التي قد يلجؤون إليها، والمهم بالصعوبات هو مستوى الحريات الديمقراطية الذي يمكن العمال من تنظيم قواهم من أجل الدفاع عن مصالحهم، بما فيها لقمتهم، وهذا الكلام لا يقال على عواهنه بل حقيقة ملموسة عاشها عمال بعض المعامل حينما قرروا الإضراب من أجل أجورهم، أي زيادتها، فكان مصير الكثير منهم الفصل وتقديم البعض لمجلس تأديب على فعلتهم من أجل ألا يعودوا إلى فعلتهم مرة أخرى.

العمال الذين تتكون لديهم خبرة الصراع مع مستغليهم سينظمون أنفسهم في كل مرة يكون لديهم قرار الإضراب، وهذا الخيار هو واحد من الخيارات الصعبة في مجرى صراعهم، بالرغم من كل الخسائر التي قد تسببها وبالرغم من كل الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تحيط بنضالهم من أجل حقوقهم، كل حقوقهم.

ماركس «يقلب الطاولة» ويقول:
العمل أبو الثروة وأمها.

يقول الأكاديميون الاقتصاديون عبر العالم: إن الأرض ورأس المال والعمل، يتشاركون في إنتاج البضائع والمنتجات في الاقتصاد العالمي.

ويضعون رأس المال في مقدمة هذه «العناصر الرئيسية» الثلاثة، التي يعتبرها البعض مصدر قيمة البضاعة المنتجة، ويستنتجون بناءً على ذلك: أن هذه المنتجات عندما تُباع في السوق، فإن النقد الناتج عن بيعها يُوزع «بالعمل»: ليحصل الرأسمالي على الربح، وصاحب الأرض على حصة تسمى الربح، أما العمال فيحصلون كذلك الأمر على حقهم ومساهمتهم من خلال الأجر. بهذا يعتبرون أن: «الجميع يساهم في الإنتاج بشكل متساو، والجميع يحصل على حقه بالعدل عبر السوق».

إلا أن رجلاً يدعى كارل ماركس، عاش بين 1820-1883 «قلب الطاولة» على هذه المفاهيم الخاطئة، وصاح في عام 1848: «يا عمال العالم اتحدوا».

ماركس، استند إلى اقتصاديين سابقين له كادم سميث وريكاردو، بأن العمل هو مصدر القيمة، وهذه الحقيقة التي أثبتتها علماء الاقتصاد السياسي الأوائل، أكملها ماركس باكتشافه لسر الاستغلال، وكان على العالم الرأسمالي أن يحاربه عليه، وأن يردد الاقتصاديون لاحقاً ليتنكروا لفكرة أن العمل هو مصدر القيمة والثروة، ويعتبرون أن العمل ورأس المال مساهمان مشتركان يحصل كل منهما على حصة عادلة.

إن ماركس، أثبت أن هذه «العدالة» زائفة، وأن عملية الإنتاج الرأسمالي قائمة على استغلال العمل لصالح رأس المال.

القيمة الزائدة وسر الاستغلال
تقول نظرية القيمة بالعمل: إن البضاعة المنتجة على مستوى المجتمع، وليكن رمزها W، مكونة من ثلاثة أجزاء، أولها: رأس المال الثابت ورمزه C وهو وسائل الإنتاج والمواد الأولية المستخدمة والمعدات وغيرها. وثانيها: هو رأس المال المتغير ورمزه V وهو مقدار العمل الحي الضروري لإنتاج بضائع وحاجات يستهلكها العمال ليجددوا قوة عملهم، ويستمرروا على قيد العمل، ولهذا المقدار من العمل الضروري حد وسطي يتغير كلما تقدم المستوى التكنولوجي للعملية الإنتاجية ككل، وأصبح إنتاج الحاجات الضرورية يتم بوقت أقصر، أما إضافة ماركس فكانت أن الجزء الثالث المكون للبضاعة هو ما سماه ماركس «القيمة الزائدة» ورمزها M، وهي تعادل الإنتاج المنتج في ساعات العمل الإضافية عن وقت العمل الضروري، الذي يتيح إنتاج الحاجات الرئيسية، ومجمل هذه الساعات الإضافية، ينتج فيها العمال مجاناً إنتاجاً يستولي عليه مالك وسائل الإنتاج، وتحول هذه القيمة الزائدة M إلى ربح للرأسمالي يحصل عليه بمجرد بيع بضائعه في السوق.

أي: إن ماركس يقول: إن العمال ينتجون الربح مجاناً، ويستولي عليه رأس المال، الذي يسعى إلى تشغيلهم ساعات عمل إضافية ليزيد إنتاج.

العمال ينتجون ما يملكه الرأسمالي!

العامل يستخدم الآلات والمعدات والمواد الأولية التي أنتجها عمال سابقون، وبدون استخدام العمال لها فإنها تبقى بلا قيمة، وهم من ينقلون قيمتها إلى البضاعة الجديدة، فيصبح الحديد واللوحات الإلكترونية والمحركات آلة، ويصبح القمح والخبز الموقدة في الفرن، والفرن ذاته خبزاً. فحتى لو كان الرأسمالي هو من يشتري هذه المعدات والآلات والمواد الأولية، فهذا لا يعني أنه قد أنتجها، بل هو يمتلكها فقط، ولا معنى لامتلاكه لها إذا لم يستخدمها العمال.

العمال ينتجون ما يستهلكونه!

كما أن العمال هم من ينتجون بضائع تعادل قيمتها حاجاتهم الضرورية لاستمرارهم، أي: لتجديد قوة عملهم، وهذا يعني عملياً: أن العمال ينتجون أجورهم التي يعطيهم إياها الرأسمالي، والذي لا يعيدها للعمال كاملة، بل منقوصة ليكون الأجر أقل من الحاجات الضرورية، ويستولي الرأسمالي على الجزء المتبقي.

العمال ينتجون ربح الرأسمالي؟

يضاف إلى ذلك، أن العمال على مستوى الاقتصاد الوطني والعالمي ككل، وخلال أيام وساعات عملهم الإنتاجي، يعملون أغلب ساعاتهم لإنتاج الربح! فهم ينتجون بضائع تعادل حاجاتهم الضرورية خلال ساعات قليلة من يوم العمل، والوقت الفائض كله ينتجون فيه بضائع

عندما تباع في السوق تعود على الرأسمالي بالربح.

**بعد أكثر من 130 عاماً..
«ماركس كان على حق»**

استنتج ماركس: أن العمل البشري الحي في العمليات الإنتاجية، يستخدم الآلات والمعدات وينقل قيمتها إلى البضاعة الجديدة، وينتج بضائع تزيد عن أجره، وبضائع هي ربح صاف للرأسمالي. لذلك فإن العمل هو مصدر القيمة الزائدة للمنتجات العالمية كلها، ومصدر الثروة الاجتماعية ككل.

أما مالكو وسائل الإنتاج الرأسماليون، ومالكو الأراضي، ومالكو الثروات الطائلة في المصارف والبنوك، هؤلاء كلهم يحصلون على ربحهم من إنتاج العمال، ومن ساعات عملهم الفائضة، أي: أنهم يستولون على الجزء الأكبر من الثروة الاجتماعية التي لا يساهمون في إنتاجها.

إن ماركس اكتشف قانون الاستغلال في الرأسمالية، واكتشف القوانين الإضافية التي تقول: إن هذا النموذج الاستغلالي غير قابل للاستمرار، وهو محكوم بالزوال. ولأنه اكتشف هذا، وذلك، يهاجمه «مفكرو رأس المال» عبر العالم، إلا أن الأزمة الاقتصادية التي تعصف بالعالم الرأسمالي اليوم، والتي تدفع القلة المحككة للثروة الاجتماعية، نحو إشعال الحروب خوفاً من التغيير القادم، هذه الأزمة تعيد الاعتبار لهذا المفكر الثائر، ليقول كل من يقرأ التغييرات ويسعى نحو العدالة وإنهاء الاستغلال: «ماركس كان على حق».

أسئلة أمام النقابي /1/



الأوضاع الاقتصادية والمعيشية ونتائجها السلبية على الطبقة العاملة، ما تزال تؤثر بشكل كبير على كل مناحي حياة العمال ومقوماتها الاجتماعية، نتيجة الأزمات المختلفة المستفحلة في البلاد، حيث العمال هم الأكثر ضعفاً في مواجهة هذه الأزمات جراء الكثير من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والتي تحتاج لوقفة حقيقية، وتدخل فعال من قبل النقابات العمالية، لما تتحمله من مسؤولية حقوقه ذات طابع اجتماعي واقتصادي اتجاه قطاعات عمالية واسعة التي تمثلها.

■ نبيل عكام

إن مبرر وجود النقابات ومهمتها الأساسية، هي تمثيل العمال بشكل فعال وحقيقي، بعيداً عن أية ضغوطات خارجية وتدخلات قد تؤثر على استقلالية وحريات النقابات، أو أن تفرض عليها الوصاية من قبل أجهزة الدولة المختلفة، حيث يعتبر العمل النقابي مهمة نضالية من أجل تحقيق مكاسب وإنجازات للطبقة العاملة تمكنها من العيش الكريم وتنهض بواقعها وتحسن ظروف وشروط عملها، وحماية مصالح وحقوق العمال والدفاع عنها، لأجل الوصل لعمل لائق، يحفظ كرامة العمال، ويوفر لأسرهم حياة كريمة وأجراً عادلاً، وخاصة في ظل الأزمات.

سمات النقابيين

وإذا انطلقنا من هذه المسؤولية لتحقيق الأهداف النقابية، تحتاج الحركة النقابية إلى نقابيين ذوو مواصفات وسمات لا بد أن تتوفر لديهم، لكي تستطيع الحركة النقابية تطوير عملها النقابي، في تبني حقيقي لقضايا العمال، وأن تواكب المتغيرات والتحديات التي تواجه العمال، فهو- أي النقابي- بحاجة

منشآت أية انبعاثات ضارة تسبب أمراضاً مهنية للعمال؟ - هل مكان العمل مكتظ بالآلات؟ - هل الآلات مجهزة بحواجز تمنع الحوادث؟ - إذا كنت تعمل في معمل كيميائي أو معمل للصناعات المعدنية أو أية صناعة أخرى ذات مخاطر خاصة، ما هي الإجراءات الوقائية التي اتخذها صاحب العمل؟ في قطاع الدولة أو الخاص. - في حالة نشوب حريق، منافذ النجاة هل هي كافية؟ - في حالة وقوع حادث في العمل، هل صاحب العمل ملزم قانوناً بتعويض العامل أو أسرته وإن لم يكن ملزم، هل قام بتعويض الضحايا الذين كانوا يعملون من أجل زيادة ثروته؟ - هل لديك قائمة بالحوادث التي وقعت خلال العمل في المنشأة؟ - هل توجد خدمة طبية في المنشأة؟ يتبع

يعرف معرفة دقيقة أوضاع الطبقة العاملة في المنشأة التي يعمل فيها، سواء كان في القطاع الخاص أو قطاع الدولة: - ما هو عملك؟ - هل المكان الذي تعمل فيه قطاع خاص أم قطاع دولة أم شركة مساهمة؟ - ما هو عدد العاملين وما هي أعمارهم وما هي نسبة العمالات فيه؟ في الصحة والسلامة المهنية: - ما هو حجم المعمل، التهوية، درجة الحرارة، لون الجدران أماكن الراحة، النظافة العامة، ضجيج الآلة، الأغبرة المعدنية وغيرها من العوالق، الرطوبة.

التي تعبر عن مصالح قوى النخب والفساد بكل وضوح وصراحة، لذلك تحتاج الطبقة العاملة إلى المناضل الذي يحمل الأمانة ويوصل صوتها بكل إخلاص وصدق ومهارة بما يخدم الدور والمهمة المطلوبة، لتمثيل العمال بعيداً عن المصالح الضيقة والتجاذبات الحزبية، وضمن معايير وشروط تؤمن مصالح العمل النقابي وتساهم في الوحدة النقابية، وإبقاء الجسم النقابي قوياً قادراً على التغيير الجذري لصالح قضايا ومصالح العمال لواقع أفضل.

أوضاع الطبقة العاملة في المنشأة

لذلك على المناضلين النقابيين المؤمنين بقضايا الطبقة العاملة أن تكون أمامهم لائحة بمجموعة من الأسئلة يستطيع من خلالها أن

لفهم الدور والمهمة التي يجب أن يحملها النقابي لتمثيل العمال والدفاع عن مصالحهم بكل ثقة وإيمان بحقوق العمال، وبالإضافة لدوره ومهمته النقابية، كونه يحمل أمانة العمل النقابي، فهو يعكس صورة تطور العمل النقابي، وهو الإنسان صاحب الأخلاق والصدق في المعاملة المدافع عن القيم الإنسانية، وبسلوكه هذا يعبر عن طبيعة العمل الذي يقوم به، ومن يمثل في المجتمع، فلا تستقيم المهمة مع سلوك خارج عن ممارسة لا تتسجم مع مصالح وحقوق العمال وأهداف الحركة النقابية.

صعوبات بيئة العمل

خاصة في ظل ما يواجه العمال من صعوبات في بيئة العمل، وتلك السياسات الاقتصادية الليبرالية

الطبقة العاملة



عمال شركة تاتا ستيل الهولندية يعلقون الإضراب

قالت نقابة عمال شركة تاتا ستيل يوم الأربعاء: إن العاملين في مصنع تاتا ستيل الهولندي قد علقوا إضرابهم بعد أن أبدت الشركة استعدادها للتفاوض مع النقابة. وقالت النقابة: إن العمال أمهلوا الشركة يومين لتحقيق مطالبهم بعد أن دعت الشركة النقابات للعودة إلى طاولة المفاوضات. وقال المتحدث باسم النقابة: «إذا لم يكن الحل في الأفق القريب، فسيستأنف العمال إضرابهم على الفور». وتقول النقابات: إن تاتا ستيل تعمل على إلغاء أكثر من 1000 وظيفة من بين 9000 وظيفة، بهدف زيادة الأرباح في قطاع الصلب. هذا وكان عمال شركة تاتا الهولنديين قد أعلنوا الإضراب منذ 10 حزيران بسبب تخفيضات الوظائف المخطط لها.



عمال هفت تبة «جائعون.. جائعون»

نظم عمال مصنع «هفت تبة» لقصب السكر في إيران إضراباً عن العمل منذ عدة أيام، احتجاجاً على تردي أوضاعهم المعيشية، وعدم الاستجابة لمطالبهم التي تتعلق بدفع الأجور المتأخرة وتمديد التأمين الصحي وعودة العمال المفصولين إلى العمل منذ وقت طويل. وحسب موقع إيران انترناشيونال، نفذ العمال وقفة احتجاجية أمام مكتب قائم مقام مدينة الشوش في محافظة خوزستان، وكان العمال يهتفون «نحن عمال هفت تبة: جائعون جائعون». والجدير بالذكر أن عمال هفت تبة ينظمون المظاهرات منذ العام الماضي من أجل مطالبهم المتعلقة بدفع الأجور والتعويضات المتأخرة، ويطالبون بإلغاء الخصخصة للشركة وإعادة ملكيتها للدولة تحت إشراف ممثلي العمال، كما يطالبون بإلغاء الملاحقات القضائية ضد العمال.



العمال الزراعيون في إضراب عام

نُفذ يوم الأربعاء 24 حزيران من الشهر الجاري- العمال الزراعيون في منطقة المتلوي في تونس- إضراباً عاماً ووقفة احتجاجية دعت إليهما الوحدة الإرشادية الفلاحية أمام الوحدة الإرشادية، وذلك بعد التنسيق وموافقة الاتحاد العام للفلاحين في تونس على خلفية تقاعس وعدم تفعيل اتفاقيات كانت قد أبرمت بين الاتحاد وبين السلطات الوصائية، وطلبوا بتفعيل القانون الأساسي وإيجاد حلول للمشاكل العالقة والمضايقات التي يتعرض لها عمال الحراسة في الغابات، وطلبوا بتثبيت العمال الزراعيين الذين يعملون في الأراضي الزراعية. هذا وتشهد تونس خلال هذه الفترة العديد من الإضرابات والاحتجاجات العمالية في مختلف المدن التونسية، للمطالبة بحقوقهم من أجور وتحسين شروط وظروف العمل بدعوة من الاتحاد العام للشغل.



عمال وحدة المياه الجزائرية يحتجون

نظم عمال وحدة المياه الجزائرية في ولاية تيزيوزو وقفة احتجاجية أمام مقر الوحدة للتأكيد على تمسكهم بمطالبهم المتعلقة في تحسين ظروف وشروط عملهم، وخاصة فيما يتعلق بمراجعة مستوى الأجور وإعادة تقييم الحد الأدنى لها، حيث اجتمع العمال في وقفة احتجاجية لتجديد نداء مطالبهم، ومطالبة الجهة الوصائية للعمل على زيادة الأجور. وقال المحتجون: إن مطالبهم أصبحت أولويات يجب على الوزارة دراستها والاستجابة لها، وتأتي هذه الوقفة الاحتجاجية استجابة لنداء القيام بإضراب من أجل الضغط على السلطات للتدخل والاستجابة لمطالبهم، وضمان تطبيق محتوى مذكرة التفاهم الموقعة بين وزارة الموارد المائية والنقابات المتعلقة بعدة زيادات طلبها العمال مثل الأجور والتعويضات الأخرى والترفعات.

الطبقة العاملة والاشتراكية والنضال ضد الجائحة 2-2



التريبلونات في مكافحة الوباء وارتفاع الحرارة الشامل، وغيرها من المخاطر الوجودية التي تهدد الحياة على هذا الكوكب.

ومن خلال طرح هذا البرنامج، نصرح علناً أن تحقيقه مرتبط بنقل السلطة السياسية إلى الطبقة العاملة، مدعومة بكل القوى التقدمية في المجتمع.

إن هذا التصريح يركز على التطورات الأخيرة في الولايات المتحدة. فالجائحة هي أزمة شاملة، وقد برزت مواضيع اجتماعية وسياسية مماثلة في كل بلد. إن كل البلدان، والعديد منها لا يمتلك أكثر من جزء بسيط من الموارد المتوفرة في الولايات المتحدة، تعيش تجربة مأساوية مع هذه الجائحة. ولهذا فإن مكافحة الجائحة تتطلب وحدة الطبقة العاملة على مستوى العالم. لا يوجد في هذا الصراع مكان لسياسات شوفينية قومية ولسياسات القوى الكبرى.

فقبل قرن من الزمان، وعلى أعتاب الحرب العالمية الأولى قالت الثورية روزا لوكسمبورغ: إن البشرية تواجه الخيار بين الاشتراكية والهمجية. واليوم ثمة خيارين يطرحان نفسيهما: نظام رأسمالي وموت، أو الاشتراكية والحياة.

ونحن ندعو كل الذين يقرون بضرورة هذا النضال في سبيل سلطة العمال والاشتراكية إلى الانضمام إلى حزب المساواة الاشتراكية.

حيوية في حصول هذه الحركة، التي تشدد على الأولوية المطلقة للحياة على الأرباح، على وعي سياسي، أي على توجه اشتراكي. إن النضال ضد الجائحة مرتبط بشكل غير قابل للانفصام بنضال العمال ضد الرأسمالية. ولتحقيق هذا الهدف فإن حزب المساواة الاشتراكية يطرح المطالب التالية:

- إلغاء انقاذ الشركات وولستريت والتحويل الفوري للموارد المالية والصناعية باتجاه مكافحة الجائحة، وتزويد كل العاملين في مجالات الرعاية الصحية والخدمات والصناعة بكل التجهيزات الضرورية لخدمة المصابين بالفايروس، والمجتمع بأسره ضمن محيط آمن.
- إبعاد منطوق الربح عن الخدمات الطبية. وتأمين كل الرعاية الصحية والصناعة الدوائية دون تعويض كبار مالكي الأسهم والمدراء التنفيذيين، ووضعها تحت الرقابة الديمقراطية للعمال والعلماء والباحثين.

- تأمين شركة أمازون وغيرها من صناعات الخدمات الحيوية.
- عدم خفض أجور العمال الذين توقف عملهم أو انخفضت ساعاته أو الامتناع عن دفعها طوال فترة الجائحة.

- إطلاق تعاون على مستوى شامل بين العلماء والباحثين في نضال على مستوى العالم ضد الجائحة.
- إيقاف الإنفاق على الحرب، وتوظيف

عودة مبكرة إلى العمل، لكن مصالح الشركات ما تزال تحرم العمال الذين يقدمون خدمات جوهرية من شروط السلامة التي ترتبط بها حياتهم.

الاستقطاب الطبقي

إن الامتناع العشوائي عن العمل وأفعال الاحتجاج في شركة إنستاكارت، وأمازون وعمال شركة الغذاء الكامل، وفئات أخرى من الطبقة العاملة لا تظهر الاستقطاب الطبقي في المجتمع وحسب، بل هي التعبير الأولي عن جهود متنامية للطبقة العاملة لطرح حل تقديمي لهذه الأزمة، حل ينطلق من الاحتياجات الموضوعية للبشرية بوصفها كل متكامل.

ليس هناك من شك أن أفعال العمال في إنستاكارت، وأمازون وعمال شركة الغذاء الكامل تحظى بدعم الكتلة الأكبر من الطبقة العاملة، ومن أجل حشد وتنظيم هذا الدعم نحن ندعو العمال لتشكيل لجان عمالية في المواقع لتنسيق نضالاتهم، وبناء أكبر قدر من الوحدة ضمن صفوف كل فئات الطبقة العاملة.

القطيعة مع نظام الحزبين

إن الإضرابات تتطلب توجهاً سياسياً جديداً. ومن الضروري تحقيق القطيعة مع نظام الحزبين الديمقراطي-الجمهوري الرأسمالي المرتبط بشكل كامل بالطبقة الرأسمالية. وثمة أهمية

هكذا سرعان ما أثيرت الدعوة إلى عودة سريعة إلى العمل. وكانت جملة الساعة الجديدة «لا يمكن أن يكون علاج الجائحة أسوأ من الداء نفسه». وفي تجاهل لتحذيرات الخبراء الصريحة من الجائحة، أعلن ترامب أن على العمال العودة إلى عملهم في فترة لا تتجاوز أسبوعين. أما واقع أن هذا القرار المتهور سيكلف في حال تطبيقه حياة مئات آلاف البشر، فلن يؤثر على ترامب.

■ ديفيد نورث

لكن في هذا الموضوع بالتحديد، ظهر إلى العلن صراع عميق غير قابل للتوفيق بين مصالح وأهداف الطبقة الرأسمالية، وتلك الخاصة بالطبقة العاملة.

إن مطالبة الرأسماليين، مدعومين من قسم هام من وسائل الإعلام بعودة مبكرة وخطيرة إلى العمل، تتعارض تماماً مع إصرار الطبقة العاملة على القضاء على الجائحة من خلال إيقاف الإنتاج غير الجوهري، والحرص الكامل على إجراءات السلامة لحماية العمال الذين يمارسون الأعمال الجهرية التي لا يمكن إيقافها، وذلك لمصلحتهم ولمصلحة الجمهور الذي يخدمونه. وحتى ولو أن إدارة ترامب، في مواجهة الزيادة الأسية في معدل الإصابات- والارتفاع السريع في أعداد الوفيات- تراجعت الآن عن دعوتها إلى



إبعاد منطوق

الربح عن

الخدمات الطبية

وتأمين كل

الرعاية الصحية

والصناعة

الدوائية دون

تعويض كبار

مالكي الأسهم

والمدراء

التنفيذيين

الشمال السوري.. تجاذب قومي وحرب بيانات.



صدرت في الآونة الأخيرة، عدة بيانات تتضمن تصورات حول واقع ومستقبل الشمال الشرقي من البلاد، البيان الأول: كان تحت مسمى «شخصيات وتشكيلات سورية في المنطقة الشرقية...» وقع عليه ما يقارب 700 شخصية سورية، بينهم أبرز رموز معارضة الائتلاف، السابقين والحاليين، وجاء البيان - كما هو واضح من منته - رداً على ما يجري من حوار كردي - كردي، بين المجلس الوطني الكردي، ونيار مجلس سورية الديمقراطية، وينظر بعين الشك والريبة إلى هذا الحوار، ومخرجاته الأولية، رغم عدم الإعلان الرسمي عنها من قبل المتحاورين في حينه.

■ رمزي السالم

وفي المقابل، صدرت عدة بيانات من قوى وشخصيات كردية حزبية ومستقلة، ترى في بيان «الشخصيات والتشكيلات» استعلاء قومياً، واستمراراً لسياسات إنكار الوجود وإقصاء الكرد، المتبعة من قبل النظام على مدى العقود الماضية.

وبغض النظر عن تقييم السياسات العامة لهذا الطرف أو ذلك، وعن التفاصيل والمواقف الواردة في كل من البيان الأول، وبيانات الرد، فإن حرب البيانات هذه أدت إلى المزيد من الاستقطاب القومي بين النخب، لتلقي بظلالها على الرأي العام، لتعمق الاستقطاب الذي كان ينمو ويتطور منذ بداية الأزمة السورية، وليأخذ هذه المرة بعداً أوسع، وأكثر تأطيراً، حيث أدت البيانات إلى موجة جديدة من المغالاة، وهنا يكمن جانبها الإشكالي، وربما خطرها لاحقاً، لا سيما، وأن هذه البيانات هي بمعنى ما، امتداد للاستقطاب الإقليمي والدولي.

سؤال حول الحوار الكردي

لا بد من التأكيد مجدداً، بأن أي حوار أو تقارب بين أي طرفين سوريين، ومنهم الكرد السوريين، يعتبر خطوة في الاتجاه الصحيح من حيث المبدأ، طالما أنها تخدم عملية الحل السياسي التوافقي على أساس القرار 2254، فالشرط الوحيد على صوابية أي نشاط هو توافقه مع هذه العملية.

مر الحوار الكردي - الكردي، بمراحل عديدة، منذ بداية الأزمة السورية، الجديد اللافت في هذه الجولة منه، هو الدور الأمريكي، ففي الوقت الذي كانت واشنطن، تتأى بنفسها عن التدخل في مسألة «وحدة الصف الكردي» حتى قبل أشهر، غيرت بشكل مفاجئ هذا التكتيك، وجعلت من نفسها راعياً لهذا الحوار، فحسب تقرير إعلامي نشر في «ارك نيوز» ديسمبر الماضي تضمن تصريحاً للأستاذ فؤاد عليكو، جاء فيه «بشأن مدى جدية واشنطن في التقريب بين المجلس الوطني الكردي في سورية ENKS وحزب الاتحاد الديمقراطي PYD، قال عليكو: لا أعتقد بأنهم جادون بالقدر الكافي، خاصة وأنهم تخلوا عن 80% من جغرافية المنطقة الكردية لتركيا وروسيا والنظام، ولو كانوا جادين باهتمامهم بالملف الكردي لما انسحبوا من هذه الجغرافية»

وقال عليكو: «طلبنا منهم أن يكونوا من رعاة التفاهم بيننا وبين PYD لكنهم رفضوا ذلك وأبدوا رغبتهم في تحقيق التقارب فقط، دون رعاية منهم، لا أكثر»

لماذا تغيّر التكتيك؟

والسؤال هو: ما الذي استجد حتى تغيّر

التكتيك الأمريكي في هذا الحوار؟ أغلب الظن، أن هذا التغيير في الموقف الأمريكي، جاء لسببين: بعد الاحتلال التركي لكل من رأس العين، وتل أبيض، عبرت الجماهير الكردية العريضة والكثير من النخب والقوى عن رغبتها وبأكثر من طريقة، في ضرورة توافيق الطرفين الكرديين، وتعرضت النخب السياسية الكردية في الطرفين إلى ضغط جماهيري واسع لأجل ذلك، أي أن شكلاً ما من التوافق كان قد أصبح ضرورة موضوعية، ومتكاملاً مع رغبة شعبية واسعة، فجاء المستثمر الأمريكي كالعادة ليستثمر في الوضع الناشئ، محاولاً التحكم بالعملية، وعزل الملف الكردي عن سياقه الوطني السوري، لاسيما أن هناك إشارات متعددة حول احتمال استئناف مسار الحل السياسي للأزمة السورية، بعد تخفيف إجراءات كورونا.

يأتي هذا الدور في سياق استكمال محاولات قائمة منذ تدويل الأزمة السورية، بالاحتواء المزدوج لكل من الدورين التركي والمركبي، فبعد أن كانت الولايات المتحدة قد فتحت الطريق لقوات الاحتلال التركي بالتدخل في مناطق رأس العين وتل أبيض، ووضعت بذلك الكرد تحت الضغط التركي المباشر، ومن جهة أبقت على تواجد، ومؤخراً كثفت وجودها العسكري في المناطق المتبقية تحت سيطرة قوات سورية الديمقراطية، وأعلن الطرف الأمريكي مراراً استمرار دعمه لهذه القوات، لتبقي حليفها التركي أيضاً تحت الضغط، أي ابتزاز كل طرف بالآخر، ليبقى بذلك الوضع السوري ككل تحت ضغط مركب.. إدلب من جهة، وأمريكي من جهة أخرى من خلال الاستثمار في الورقة الكردية، وأمريكي تركي بواسطة جبهة النصرة وأشباهها في إدلب من جهة ثالثة، بمعنى آخر، محاولة الإمساك بما يمكن من الخيوط، ورفع منسوب الفوضى، والتأسيس لرفعه لاحقاً إلى حد أعلى، إذا تطلب الموقف.

ومع بدء تنفيذ قانون قيصر، ومفاعيله المتوقعة على عموم سورية، وبالأخص في تلك المناطق الخارجة عن سلطة الدولة السورية، والتعليمات التي تصدر والتفويضات

والتسريبات التي تجري حول التعامل بالدولار أو بالليرة التركية، بدل الليرة السورية، ودلالات ذلك من جهة الحفاظ على وحدة سورية، يتأكد وجود طبخة أمريكية جديدة، وتوضح أسباب الدخول الأمريكي على خط المصالحة الكردية.

الدور الأمريكي اللاحق

كانت السمة الأساسية للسلوك الأمريكي، خلال السنوات السابقة يتكثف في إدارة الأزمة، ومنع حلها، ضمن هذا الفهم يمكن التنبؤ بالسلوك الأمريكي اللاحق في إدارة هذا الملف، أي ملف الاستقطاب القومي.. فإما إعطاء وعود وإرسال إشارات دعم إلى الطرفين كل على حدة، بحيث يستقوي كل منهما على الآخر بالدعم الأمريكي المفترض، وبذلك ترتفع حدة الاستقطاب، لتبدأ ماكينة البروباغندا القومية بالعمل، طرف قومي يقيم الدنيا ولا يقعدا بذريعة الدفاع عن وحدة البلاد، والطرف الآخر يرد بداعي ضمان الحقوق القومية الكردية، لتكون النتيجة: لا الحفاظ على وحدة سورية، ولا تأمين الحقوق الكردية، أو من خلال فرض مناطق النفوذ، وإعادة تقاسمها بين كل من يستمر في الاعتماد على الأمريكي، من أبناء تلك المناطق، لتكون أحد أشكال التقسيم غير المعلن، أو السعي إلى إحياء نموذج ما يسمى ديمقراطية المكونات، إذا استؤنفت العملية السياسية، أي في كل الأحوال المزيد من الفوضى.

البيانات المتضادة وتشابه الرؤى

من خلال العودة إلى الرؤية السياسية المتعلقة للقوى والشخصيات والأطراف الموقعة على البيانين، يمكن القول: إن نقطة استنادها واحدة، وهي الرهان على العامل الدولي في تحقيق الأهداف، انسياقاً مع الأوهام والوعد التي قدمتها الدول الداعمة، وخصوصاً الولايات المتحدة، تلك الرؤية التي لعبت دوراً إلى جانب دور القوى المتشددة في النظام، باستمرار الكارثة الإنسانية، حيث ساهم الطرفان «النظام ومعارضة الائتلاف» خلال سنوات الأزمة، وكل من موقعه، في عرقلة الحل السياسي، أو الالتفاف عليه، أو محاولات

تبيعه، وإفراغه من محتواه. والطريف في الأمر، أن القوى والشخصيات الموقعة على كلا البيانين المتضادين يعتمدان على الأطراف الدولية نفسها، وهما الولايات المتحدة وفرنسا، فالحوار الكردي يجري برعاية مباشرة من الأمريكي، بالإضافة إلى دور فرنسي مساعد في الكواليس، حسب ما تسرب من أخبار، وبيان الطرف الآخر يقول في إحدى فقراته «ونعرض خلال ذلك على الحكومات الأمريكية والفرنسية وباقي الدول الصديقة مبادراتنا للعمل...».

الواقعية بدلاً عن التجاذب

كما أكدنا مراراً في سنوات الأزمة، فإن حل المسألة الكردية عدا عن كونه حقاً ديمقراطياً مشروعاً، هو أيضاً ضرورة وطنية سورية، ونعتقد أن خريطة طريق حل هذه المسألة، تقوم على أساس حدين ثابتين: الحد الأول: إنهاء سياسات التمييز القومي وإنكار الوجود، ومفاعيلها، ونتائجها، والاعتراف الدستوري بالتعدد القومي. الحد الثاني: الحفاظ على وحدة سورية أرضاً وشعباً.

في مكان ما بين هذين الحدين اللذين لا يحق لأحد تجاوزهما، كونهما ضرورتاً موضوعية سورية، يكمن الحل الوطني الديمقراطي للمسألة الكردية في سورية، أما تفاصيل الحل وصيغته النهائية، فهذا منوط بالحوار بين السوريين، والحل السياسي التوافقي لعموم الأزمة السورية، فلا هو شأن الحركة القومية الكردية وحدها، ولا هو شأن معارضة الائتلاف وحدها، ولا يحق لأحد وضع شرط مسبق، أو «فيتو» من أحد الاتجاهين. مع التأكيد بأن العلاقة بين الحدين علاقة تكامل، لا يمكن تجاهل أحدهما، لا بل من الناحية الواقعية تجاهل أي حد من هذين الحدين، يعني عملياً نفس الآخر أيضاً. تجدر الإشارة هنا، أنه مع إنجاز هذه المقال صدر بيان جديد، تحت مسمى «نداء من أجل تحالف عربي ديمقراطي» في الجزيرة والفراة ذو شحنة قومية أعلى، وواضح من مفردات البيان: أن هؤلاء يبحثون عن دور لهم، في بعض المناطق الواقعة تحت النفوذ الأمريكي.

تفاصيل الحل وصيغته النهائية منوط بالحوار بين السوريين والحل السياسي التوافقي لعموم الأزمة السورية فلا هو شأن الحركة القومية الكردية وحدها ولا هو شأن معارضة الائتلاف وحدها

عن السياسة بوصفها احتيالاً وبوصفها



قد تطورت بشكل كبير بحيث إنّ كل المواقف مسجلة ومحفوظة بالبيانات والتصريحات والصوت والصورة.

السياسة بوصفها احتيالاً!

الغرض من العرض السابق هو الوصول إلى الفكرة التالية: إذا كان الطرفان المتشددان والذاتان تصدرتا المشهد خلال السنوات السابقة، يمارسان السياسة بالطريقة الموضحة أعلاه، أي برفع شعارات واتخاذ مواقف معينة، فقط ليتم التراجع عنها إلى ضدها بعد ذلك، فإنّ من الطبيعي أن يحكم السوريون على السياسة ككل وعلى الممارسة السياسية بأنها ليست أكثر من ممارسة احتيالية، مراوغة، كاذبة، انتهائية، لا يحكمها مبدأ وليس فيها أية ثوابت، ما دام أي موقف مهما بدا صلباً، هو موقف خاضع للبازار، وقابل للتغيير من الضد إلى الضد...

ضمن هذا التصور، يصبح من المفهوم تماماً، أن نتلقى نصحاً صادقاً من البعض بالقول: لا تعلقوا عداً مطلقاً للولايات المتحدة، اجعلوا مواقفكم «مرنة» أكثر... وبهذا المعنى فنحن حقاً لا نتمتع بأدنى درجات المرونة؛ طالبنا بالحوار منذ اللحظة الأولى، وافقنا على المبادرة العربية وبيان جنيف 2254 ومسار أستانا وسوتشي واللجنة الدستورية وبقينا على مواقفنا، وطوال الوقت كان الشعار الأساسي الذي نعمل من أجله هو التغيير الجذري الشامل الاقتصادي الاجتماعي السياسي والديمقراطي، وذلك بالتوازي مع مواقف ثابتة اتجاه الأمريكي واتجاه الغربي عموماً. و«الاقتصادي الاجتماعي» هو مفتاح حاسم لفهم الأمور والمواقف المختلفة من وجهة نظرنا...

المتشددان، بوصفها مثلاً ملموساً عن ماهية العمل السياسي في سورية، وبالتالي عن آراء الناس حوله.

لجهة النظام، فقد أصر منذ البداية على فكرة المؤامرة تفسيراً وحيداً لكل شيء، وكذلك على ما أسماه الحل الأمني، والذي تطور لاحقاً إلى الحسم العسكري. أصر أيضاً على رفض الحوار في البدايات، ولدى قبوله به، فقد تعامل معه دائماً بوصفه أداة للمراوغة والتهرب من الضغوط. ليس أدلّ على ذلك من تجاهله لتوصيات اللقاء التشاوري تموز 2011، وما تلا ذلك من أحداث، سواء عبر السلوك الاستعراضي في جولات جنيف المتعاقبة، أو من الموقف غير الراض وغير الموافق علناً على 2254 ولكن الراض عملياً وبالتلميذ كلما كان ذلك ممكناً، ووصولاً إلى سلوكه التعطيلي السابق والحالي اتجاه اللجنة الدستورية.

على الضفة «المقابلة»، فقد اتخذ المجلس الوطني، ومن ثم الائتلاف وبعدهما هيئة التفاوض بنسختيهما، والتي بقيت السيطرة الأساسية ضمنها للجهات نفسها، مجموعة من المواقف المعادية للحل السياسي؛ ابتداءً من رفض الحوار وطلب التدخل الخارجي وتشجيع العسكرة، ومن ثم رفض خطة كوفي عنان والمبادرة العربية وبيان جنيف والقرار 2254 ومسار أستانا ومؤتمر سوتشي واللجنة الدستورية.

المشترك بين متشدي الطرفين، أنهم اضطروا دائماً للموافقة لاحقاً، إلى هذا الحد أو ذاك، وفي إطار المراوغة واستمرار التعطيل، على ما رفضوه سابقاً... ومن حسن طالعنا كسوريين، «إذا كان من الممكن الحديث عن حسن طالع» أنّ منصات ومساحات التخزين الإلكتروني

يقف الوضع السوري بأسره على عتبة الدخول في مرحلة جديدة نوعياً من التحولات العاصفة؛ ورغم أن المشهد بأبعاده المختلفة وعلى رأسها الاقتصادي المعيشي، يبدو سوداوياً بالنسبة للكثيرين، إلا أنّ نظرة متفحصة ليس إلى الوضع السوري فحسب، بل إلى مجمل التطورات الدولية والإقليمية، تشير بوضوح إلى انفراجات قريبة قادمة.

■ سعد صائب

مصلحة الأغلبية الساحقة من السوريين. دون هذه الحركة، دون انتظامها ونضجها، لا يمكن ضمان شيء.

ولأنّ الحركة الشعبية في جوهرها هي تعبير عن النشاط السياسي العالي للناس، فإنّ فكرة العمل السياسي نفسها، وبسبب ما تعرضت له من تشويه منظم وطويل الأمد، تحتاج إلى الوقوف عندها مطولاً، وإلى تحديد ماهيتها واتجاهاتها.



الدولية ابتداءً من عصبة الأمم ومن ثم الأمم المتحدة، وكذلك مع تنامي أشكال القمع الناعم «الهيمنة» كمساعد وبديل عن القمع الخشن «السيطرة»، التي كان من الضروري بموجبها «الهيمنة» أن يتحول المجتمع المدني نفسه إلى منظومة لاتمتص الصدمات والصدمات الثورية بشكل خاص.

بالعودة إلى الصبغة السلبية التي يجري دمج العمل السياسي بها، لا بد لنا من نظرة سريعة إلى الوراء، وفي الإطار السوري، لكي نتبين أساس هذه الصبغة

نظرة سريعة للوراء

بعيداً عن الحديث المجرد، وقريباً من الشؤون السورية الملموسة، من المفيد أن ننظر بداية، وبشكل مكثف، إلى المواقف السياسية الأساسية التي اتخذها الطرفان السوريان

لعل أهم جوانب الانفراج القادم، بالتوازي مع تثبت وتصلب ميزان القوى الدولي الجديد واقترب التطبيق الكامل للقرار 2254، هو الموجة القادمة من الحركة الشعبية في سورية. الحركة الشعبية القادمة ستكون العامل الحاسم في الاستفادة من التوازن الدولي الجديد، ومن تطبيق القرار 2254، لجعلها يصبان في مصلحة سورية، وفي

المجتمع المدني والسياسة

أحد مداخل التعاطي العام مع العمل السياسي هو ذلك الفصل التعسفي الذي يجري تقديمه كمسلمة على الجميع الإقرار بها؛ وهي أنّ العمل المدني يتصف بالحياة، في حين أن العمل السياسي يتصف بالتحزب. وبطريقة أو بأخرى يجري إسباغ قيمة إيجابية على «العمل المدني» بمقابل قيمة سلبية يجري دمج «العمل السياسي» بها.

لن ننتعمق هنا في معالجة عملية الفصل هذه، ولكن سنكتفي بالإشارة إلى كونها مقطوعة الأساس النظري؛ فمفهوم المجتمع المدني نفسه، كان لدى واضعه الأساسي «الفيلسوف الألماني هيغل»، متضمناً لمفهوم المجتمع السياسي، بل ومطابقاً له في كثير من الأحيان. عملية الفصل بين الاثنين بدأت في النصف الأول من القرن الماضي، مع نشوء المؤسسات

المتشددون في الطرفين، لا يكتفون بممارسة السياسة بمفهومها الاحتيالي، بل ويساهمون في تشويه معنى السياسة والعمل السياسي في أذهان الناس؛ يكفي أن نتذكر أن متشدي النظام يسخفون باستمرار الجانب السياسي للأزمة، لحساب محاربة الإرهاب والجانب الوطني الشعائري، وكأنّ كلاً من الجانبين مستقل عن الآخر أو قابل للحياة دونه. على الطرف الآخر ينحرف البعض بتصريحات من قبيل «نحن ثورة ولنا معارضة»، أي أنهم ليسوا ساسة، والعجيب أنّ هؤلاء لم يمتنعوا عن ممارسة العمل السياسي طوال السنوات السابقة، بل وعلى تصدّره، بعد أن كانوا متصدّرين طوال عقود ضمن بني الفساد الكبير داخل جهاز الدولة.

نضالاً... والموقف من واشنطن كمثال



توزيع الثروة الوطنية والذي يذهب بعوجه ما يصل إلى 90% لقلة اقتصادية لا تزيد عن 10% يوضح أنّ النظام السياسي القائم يعمل لخدمة مصلحة هذه الـ 10% العابرة للطوائف والقوميات وضد مصلحة الـ 90% المتبقين

السياسة تكثيف للاقتصاد

ترى الماركسية، أنّ السياسة تكثيف للاقتصاد، وأنّ علاقات الإنتاج هي القاعدة المادية التي تبني فوقها الحياة السياسية للمجتمع. ولكن دون الدخول في عمق النظرة الماركسية للأمور، يمكننا القول بشكل مبسط: انظروا إلى البرامج الاقتصادية للأطراف المتشددة ومصالح من تمثل، وعندها يصبح من الممكن ليس فهم مواقفها السياسية السابقة فحسب، بل والتنبؤ بما سيأتي من مواقف.

بالنسبة للنظام، فلا حاجة للبحث بين الأوراق والكراسات عن برنامج الاقتصاد، يكفي النظر إلى الواقع، وليس اليوم فحسب، بل وخلال ثلاثين سنة مضت على الأقل. توزيع الثروة الوطنية في سورية والذي يذهب بموجبه ما يصل إلى 90% لقلة اقتصادية لا تزيد عن 10% يوضح أنّ النظام السياسي القائم، يعمل لخدمة مصلحة هذه الـ 10% العابرة للطوائف والقوميات، وضد مصلحة الـ 90% المتبقين العابرين بدورهم للطوائف والقوميات.

بالنسبة للمعارضة، أو لنقل للأقسام منها المزودة بالفيثامين الإعلامي والسياسي الخارجي، فإن البرامج المطروحة على الورق، تجمع تقريباً على «اقتصاد السوق الحر»، أي على برامج النظام نفسها، وعلى توزيع الثروة نفسها، وبهذا المعنى فإن هذه «المعارضة» ليست معارضة للنظام، بل معارضة للسلطة؛ أي أنّ مشكلتها ليست مع نهب الناس وقمعهم، بل حول من يملك «الحق» في القيام بذلك.

وليس من المستغرب أنّ موقف الجهتين من قيصر والعقوبات الغربية هو ذاته في الجوهر. النظام يقول للناس: «اصمدوا واصبروا، ليس أمامكم من خيار، لن أحارب الفساد الكبير، لن أتخلى عن الدولار، لن أتخلى عن منظومة النهب عبر الاستيراد، لن أتخلى عن السياسات الليبرالية، لن أسهل المضي نحو الحل السياسي، ولكن عليكم أن تصمدوا، ويفضّل أيضاً أن تصمتوا بينما أنتم صامدون».

المتشددون من الطرف المقابل، يؤيدون

العقوبات ويقولون بضرورتها وينفون تأثيرها على الشعب السوري، وإذا اعترفوا بوجود «بعض الآثار الجانبية» فإنهم يقولون للناس: اصبروا «إنما النصر صبر ساعة». والصابرون طبعاً هم عموم السوريين وليس «نخبهم» المعارضة التي لم ينتخبوها. ولأنّ السياسة تكثيف للاقتصاد والمصالح الاقتصادية، فإنّ المتشددتين في الطرفين يمارسون السياسة نفسها من حيث الجوهر في نهاية المطاف، ولكن هل هذه هي السياسة كلها؟

السياسة: سياستان

إذا كانت السياسة التي تمثل الناهيين تحمل السمات الأخلاقية والاقتصادية لهم كفاءة وشريحة طبقية، أي سمات النصب والاحتيال والمراوغة والريعية والطفيلية، فإنّ السياسة التي تمثل المنهويين، ينبغي لها أن تحمل أيضاً سماتهم الأخلاقية والاقتصادية، أي سمات العمل المنتج الحقيقي، الصادق والمباشر والصريح والأخلاقي.

هل يندرج الكلام السابق في إطار توهّمات طهرانية؟ لا نعتقد ذلك نهائياً، فالعصر الذي نعيشه هو عصر الحركة الشعبية العارمة والمستمرة والمتصاعدة، وهو لذلك عصر موت الفضاء السياسي القديم «الذي تركزت ضمنه المفاهيم الاحتياطية للسياسة»، وولادة الفضاء السياسي الجديد الذي سيتطور شيئاً فشيئاً ليحبر عن مصالح المنهويين.

السياسة التي تمثل المنهويين، تتحلّى بالمرونة الممزوجة بصلابة المبدأ، هي سياسة نضالية، ثورية، وليست سياسة مراوغة واحتيال، ولذا فإنّ المواقف المبدئية ضمنها ليست قابلة للمساومة.

أهم من ذلك كله، أنّ السياسة التي تمثل المنهويين، سندها الأساسي هم المنهويون أنفسهم، ولذا لا تتعامل معهم ككتلة بشرية صماء تنحصر وظيفتها بالتصفيق لهذا الطرف أو ذاك، بالتوازي مع انعدام الفاعلية المباشرة. ولذا فإنّ الحقيقة هي الأداة الأساسية بيد من يمثل المنهويين، لأنّ الحقيقة وحدها هي من تستطيع جمع هؤلاء

مواضعها الصحيحة، ولكن لتبرير شيء واحد هو المواقف المتقلبة والمتناقضة، وأهم من ذلك، لتكريس سياسة تقوم على «الموازنة» بين مصالح الدول والوقوف على مسافة واحدة منها جميعها، ولكنها في جوهرها منحازة للمصالح الغربية، بما يحمل إشارة ساخرة ضمنية وكأنّ السياسي السوري عليه أن يعمل بوصفه «مجتمعاً مدنياً افتراضياً-حيادياً» في خضم صراع دولي حامي الوطيس!

بما يخص الولايات المتحدة، ليست لدينا أية أوهام حول انعدام الرغبة الأمريكية في خروج سورية من أزمتها، بل العكس فإنّ الرغبة الأمريكية هي في تعميق وتأييد «المستتبع السوري». ليست لدينا أوهام حول رفضها الضمني لتطبيق 2254 أياً يكن ما تقوله. يكفي سلوكها اتجاه النصر، اتجاه الشمال الشرقي، في مسألة العقوبات، في العمل ضد مسار أستان، وغيرها من المحطات، وعلى رأسها موافقتها على ضم الجولان السوري

المحتل إلى الكيان الصهيوني. كل هذه الأمور، تجعلنا متيقنين من أنّ الوصول إلى الحل في سورية لن يتم دون قدر ما من كسر الإرادة الأمريكية، سواء على المستوى الدولي أو الإقليمي أو المحلي. كل ذلك يعني أنّ أية «مرونة» اتجاه الأمريكي لن تساهم إلا في إطالة أمد الأزمة ومعاذرة الناس. وعليه فإنّ «المرونة» في هذا الموضوع، ليست مرونة، بل احتيالا سياسياً واصطفافاً ضد مصالح السوريين.

ولأنّ «إغضاب المستعمر أسهل دائماً من إرضائه»، فإنّ التعامل مع الأمريكي على أنه عدو، هو أمر لا بديل عنه، والحدة في الخطاب اتجاه الأمريكي تتناسب مع حدة إجرامه اتجاه الشعب السوري وشعوب المنطقة، وتتناسب بالذات مع تواطئه الضمني التاريخي مع شبكات الفساد الكبير المحلي، التي عملت وتعمل كإحدى أدوات تهريب ونهب ثروات السوريين باتجاه المركز الغربي...

فضاء سياسي جديد

لا تغيب مؤشرات وبادر انطلاق موجة جديدة من الحركة الشعبية في سورية سوى عن أعمى بصر وبصيرة. ولأنها قادمة لا محالة، فإنها ينبغي أن تتخطى تنظيم نفسها سياسياً بشكل أعمق وأكثر نضجاً من كل ما سبق، وعليها أن تفرز قياداتها وممثليها وشعاراتها من رحمها هي، وإذا تقاطعت مع قوى سياسية موجودة على الساحة فليكن، ولكن الأساس الصلب للفضاء السياسي الجديد هو الحركة الشعبية القادمة نفسها... بالإضافة إلى من يملك ما يكفي من القدرة المعرفية والمصادقية العملية، من القوى السياسية الموجودة على الساحة.

المواقف السياسية الأساسية التي اتخذها الطرفان السوريان المتشددان مثال ملموس عن ماهية العمل السياسي في سورية وبالتالي عن آراء الناس حوله



نضالي من ذلك النمط الذي وصفه أحد القادة الثوريين العظام في القرن العشرين بأنه «العمل الممل الرتيب الأسود».

عن المرونة والموقف من واشنطن

في سياق السياسة الاحتياطية، يجري استخدام مفردات من قبيل المرونة والبراغماتية والواقعية السياسية، وليس في

المنهويين في صف واحد في وجه ناهيهم. من السهل جداً أن تقسم الـ 90% على أساس الطوائف والعشائر والقوميات، وعلى أساس مؤيد ومعارض، وعلماني ومتدين، ومدني وريفي، وإسلامي وقومي وماركسي... إلخ. ولكن من الصعب جداً أن توحدهم على أساس مصالحهم الاقتصادية المشتركة... لذا فإنّ العمل السياسي الممثل للمنهويين هو عمل

28 ألف ليرة عن كل مؤمن سنوياً.. هل تلبى الغاية التأمينية؟



بناء على موافقة الحكومة تم زيادة مبلغ الاقتطاع الشهري من أجور المؤمن عليهم صحياً، بحيث أصبح 500 ليرة بدلاً من 250 ليرة، وذلك اعتباراً من 1/7/2020، وقد صدر تعميم موجه من وزارة المالية إلى كافة محاسبي الإدارات لدى الجهات العامة بمضمونه.

■ عاصي اسماعيل

الموافقة أعلاه، بحسب ما وردت على صفحة الحكومة بتاريخ 2020/6/22، كانت بغاية «تقديم الخدمة الأفضل، وبعد عزوف عدد من مقدمي الخدمات الطبية بسبب ارتفاع تكاليف مستلزمات العمل، مع تلبية حاجة 90 بالمئة من حالات الدخول إلى المشافي»، «ويتحمل الفرق الداعم للعقد ليصبح الدعم المقدم عن كل مؤمن 22 ألف بدلاً عن 13 ألف موزعة بين مساهمة الخزينة العامة والسورية للتأمين، أي لم يتم تحميل العامل الفروقات السعريّة للتعديلات التي تمت».

1% من الأجور غير معتبرة حكومياً

لن نخوض بالحديث عن أهمية التأمين الصحي بالنسبة للعاملين، وضرورة تصويبه بما يحقق غايته ومصصلحة المؤمن عليهم، فهذا أمر مفروغ منه، ولا حاجة للتأكيد عليه، خاصة بعد كل ما أصابه واعتراه من مشاكل وملازمات منذ بدء تطبيقه وحتى الآن، على حساب المؤمن عليهم وصحتهم طبعاً. لكن سنتوقف أولاً عند عبارة: «لم يتم تحميل العامل الفروقات السعريّة للتعديلات التي تمت»، الواردة أعلاه.

فالقرار أعلاه حمل العامل حصة من هذه الفروقات عملياً، بحيث أصبحت 6000 ليرة بدلاً من 3000 ليرة سنوياً، لكن على ما يبدو فإن الحكومة تعلم علم اليقين أن المبلغ الإضافي الذي تم تحميله للعامل سنوياً، والبالغ 3000 ليرة، يعتبر مبلغاً ضئيلاً بحسب ما وصلت إليه القيمة الشرائية لليرة بمقابل الأسعار، لذلك ربما أسقطته من حساباتها!

علماً أن مبلغ الاقتطاع الشهري بحسب القرار

أعلاه أصبح يقارب نسبة 1% من كتلة الأجر الشهري، وهي نسبة معتبرة، لكن تضاعف الأجر، وتراجع القيمة الشرائية لليرة، جعلت من هذا المبلغ الشهري 500 ليرة/هزياً جداً بالواقع العملي مع الأسف، وهو أمر بعهدة ومسؤولية الحكومة من كل بد، التي كذلك أسقطت هذه المسؤولية عن كاهلها على ما يبدو!

28 ألف ليرة سنوياً

الدعم المقدم عن كل مؤمن بحسب القرار أعلاه أصبح 22 ألف ليرة، أي أن شركات التأمين المتعاقدة مع الجهات العامة أصبحت تتقاضى عن كل مؤمن عليه مبلغ 28 ألف ليرة سنوياً، وذلك بعد إضافة مبلغ 6000 ليرة المقتطعة من كل عامل سنوياً.

وبحساب الفروقات، يتبين أن مضمون القرار قد منح مبلغ 12 ألف ليرة إضافية عن كل عامل لمصلحة شركات التأمين الصحي سنوياً، ولكم أن تحسبوا ما ستحققه هذه الشركات من عائدات سنوية بموجب العقود، وبحسب الرقم الإجمالي للعاملين في الدولة، باعتبار أن التأمين الصحي إلزامي، بغض النظر عن فعالية وجدوى الخدمات المقدمة من هذه الشركات عبر مقدمي الخدمات المتعاقدين معها «أطباء- مخابر- صيادلة- مشافي..».

الشروط التعاقدية والالتزام بها

تجدر الإشارة إلى أن الالتزام بالشروط التعاقدية بما يحقق مصلحة المؤمن عليهم لم يكن يسير بالشكل المطلوب طيلة السنوات الماضية، وقد اشتكى، وما زال، الكثير من العاملين المؤمن عليهم من عدم الالتزام بهذه الشروط، وتهرب مقدمي الخدمات الطبية منها «أطباء- مخابر- صيادلة- مشافي»،

بالإضافة لشركات الخدمات الصحية طبعاً، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، مع عدم تغييب أوجه المحاباة والفساد التي شابت بعض الخدمات وأسعارها، ومضمون الموافقة أعلاه لم يغفل هذا الجانب من التهرب المرتبط بارتفاع تكاليف مستلزمات العمل، علماً أن بعض مقدمي الخدمات يتقاضون فارق هذه التكاليف من العامل المؤمن عليه في الكثير من الأحيان.

ولا ندري هل الزيادة المقررة أعلاه ستتكلّف بتقديم الخدمات بحسب الشروط التعاقدية، وبما يحقق مصلحة المؤمن عليهم، أم أن ذريعة التكاليف، برغم مشروعيتها النسبية، ستستمر ورقة ضغط على العاملين، وعلى حساب صحتهم، خاصة بظل تنذب الأسعار المستمر؟!

هل مصلحة العامل هي المبرر والدافع؟

مضمون القرار الحكومي أعلاه يبدو أن غايته مصلحة العاملين وصحتهم، لكن بالمقابل نتساءل عن جدية الحكومة بالحفاظ على مصلحة هؤلاء؟!

وبهذا الصدد لن نتحدث عن الأجور، التي تعلم الحكومة يقيناً بهزالتها وعدم فعاليتها في ظل الواقع الاقتصادي المعيشي القائم، وبأنها بالكاد تغطي الاحتياجات الغذائية لأسرة مكونة من خمسة أفراد مدة أسبوع واحد فقط لا غير على أبعد الحدود، وهي مسؤوليتها أولاً وأخراً.

لكن سنذكر فقط بالموافقة الحكومية حول رفع قيمة الوجبة الغذائية للعاملين إلى 300 ليرة، وعن مال هذه الموافقة التي نامت بدهايز الحكومة ووزارة ماليتها، برغم أحقيتها!.

فقد سبق أن وافقت اللجنة الاقتصادية على رفع قيمة الوجبة الغذائية للعاملين الذين يتعرضون لعوامل ملوثة وضارة بالصحة من 30 ليرة إلى 300 ليرة، وذلك بعد العديد من الضغوط والمطالبات المشفوعة بالبيانات والإحصاءات التي عملت عليها العديد من

الجهات الحكومية، بالإضافة للاتحاد العام لنقابات العمال، لكن وعلى الرغم من مرور عام على هذه الموافقة تقريباً، وضرورة إعادة النظر بها بعد هذه الفترة الطويلة، إلا أنها ما زالت حبيسة دون تنفيذ لدى وزارة المالية والحكومة من خلفها، بالرغم من أن جوهر وغاية الوجبة الغذائية هو وقائي وصحي للعاملين، أي يصب في نفس اتجاه الحفاظ على صحة العاملين من هذه الزاوية!.

فعن أية مصلحة يمكن الحديث بهذا الصدد إذن؟!

ربما، ومن باب المقارنة، يسعنا القول: إن الضغط الذي مارسه شركات التأمين الصحي مؤخراً بذريعة التكاليف، ولمصلحتها طبعاً، والذي أسفر بالنتيجة عن القرار أعلاه بتفصيله الرقمي سالف الذكر، لا يمكن بمقارنته بالضغط الذي مورس من قبل العاملين ونقاباتهم طيلة الفترة الماضية من أجل تنفيذ الموافقة الحكومية برفع قيمة الوجبة الغذائية الصحية!

ولعل مؤشر بسيط يمكن لحظه بهذا الجانب، فالقرار الحكومي أعلاه تبعه مباشرة تعميم من وزارة المالية إلى المحاسبين، بينما لم تصدر وزارة المالية حتى تاريخه أي تعميم أو قرار أو توجيه بما يخص قيمة الوجبة الغذائية!.

ليتبين بالنتيجة، أن مصلحة العاملين وصحتهم ربما ليست هي المحرك الفعلي لمضمون القرار الحكومي أعلاه، بل هي مصلحة الحفاظ على أرباح شركات التأمين دون أية مواربة، خاصة أن الحديث يدور هنا عن استثمار بعشرات المليارات من الليرات السورية سنوياً من جيوب العاملين ومن حسابات الجهات العامة، عبر مقدمي الخدمات الطبية المتعاقدين، والتي ستصب أرباحها في حسابات هذه الشركات، بينما قيمة الوجبة الغذائية، بحال تنفيذ زيادتها، ستصب في جيوب العاملين فقط!.

إن مصلحة العاملين وصحتهم ربما ليست هي المحرك الفعلي لمضمون القرار الحكومي أعلاه بل هي مصلحة الحفاظ على أرباح شركات التأمين دون أي مواربة

طلاب منبج والظروف الصعبة!



مشكلة إضافية واجهها بعض الطلاب والطالبات خلال توجههم للمراكز الامتحانية، تمثلت باعتبارهم متغييبين عن بعض امتحاناتهم، دون معرفة الأسباب أيضاً.

المنظمات الدولية وغياب أجهزة الدولة

بحسب بعض الطالبات، إن السبب الأساس لغالبية المشاكل التي واجهها الطلاب والطالبات خلال الأيام الامتحانية الماضية وما قبلها، كان دور بعض العاملين في المنظمات المسؤولة عن تفاصيل يومياتهم، ومعارفهم، بما في ذلك مسؤولية النقل والانتقال من وإلى المراكز الامتحانية، في غياب لدور أجهزة الدولة المعنية بهذا الصدد!

ويتساءل هؤلاء الطلاب، عن إمكانية حلحلة بعض الصعوبات خلال الأيام الامتحانية القادمة، وعن الإجراءات التي من الممكن أن تتخذها الوزارة بما يتعلق بغوات الامتحانات، وهل سيتمكنون من إعادتها رافة بهم، وبحالهم وبظروفهم القاسية سلفاً، أم لا؟!

منتهية الصلاحية أو تعرضت للحرارة، والأهم، دون اتخاذ إجراءات التعقيم والرقابة على سلامة الغذاء، حيث جرى نقل بعض المصابين إلى مشفى الرازي للمعالجة، بعيداً عن إجراءات الحجر المتخذة أيضاً.

الكهرباء مقننة والشواحن لم تف بالحاجة

عن وضع الكهرباء فقد كان معها معاناة إضافية، فبرنامج التقنيين في مركز الحجر «مدرسة شحادة» كان مستمراً بعكس ما صرح به مدير التربية، لكن تم تأمين بعض الشواحن، ولكنها لم تف بالحاجة أيضاً، حيث كانت إضاءتها منخفضة وضعيفة، وتفرغ سريعاً، ما أدى لعدم تمكن الطالبات من متابعة دراستهن ليلاً، علماً أن الفترة الليلية تعتبر محبذة للدراسة من قبل غالبية الطلاب، حيث يتم الإنجاز خلالها بشكل أفضل، خاصة لرافقها مع الهدوء الذي يحتاجه الطالب أثناء الدراسة، مما اضطر الكثير من الطالبات لاستعمال إضاءة الجوال بمرغ سوتها، وسرعة استهلاك الطاقة فيها، ونفاذها أيضاً.

السبب الأساس لغالبية المشاكل خلال الأيام الامتحانية الماضية وما قبلها كان دور بعض العاملين في المنظمات المسؤولة عن تفاصيل يومياتهم ومعارفهم خلالها

كما جرت العادة خلال الأعوام السابقة في استقبال طلاب شهادة التعليم الثانوي من المناطق الساخنة، خارج سيطرة الحكومة، من أجل التقدم للامتحانات النهائية، فقد وفد من منبج إلى حلب منات الطلاب والطالبات لهذه الغاية هذا العام.

مراسل قاسيون

التفاصيل غير الرسمية

بحسب بعض الطلاب الوافدين، فقد تم البدء باستقبال الطلاب الشباب قبل 10 أيام من موعد الامتحان تقريباً، بينما تم البدء باستقبال الطالبات البنات قبل 3 أيام. وبحسب بعض الطالبات، فإن مدة الوصول إلى مراكز الحجر على الطريق تراوحت بين ساعتين ونصف و12 ساعة، دون معرفة أسباب هذا التباين في الساعات المهدورة على الطريق، والتي ترجمت بالنتيجة العملية تعباً وإرهاقاً كابدهه الطالبات.

في إحدى المدارس التي خصصت كمركز لحجر الطالبات «مدرسة شحادة درويش» في منطقة هنانو، وضع فيها بحدود 250 طالبة، وجرى توزيعهن على القاعات الصيفية التي فتحت لهذه الغاية، بحيث ضمت كل قاعة بين 7-8 طالبات، وبحسب بعض الطالبات، فإن الظروف المعيشية بهذه القاعات كانت بعيدة عن الإجراءات الاحترازية والحجر الصحي، كما أنهم منمن من الخروج تحت أي ظرف ولاية ذريعة.

وعن لقاءهن مع أهلهم وذويهم ومعارفهم فقد كانت المدة لا تتجاوز 5 دقائق، طبعاً مع وجود حرس للمراقبة، وكأنهن سجينات وليس محجورات.

أسعار متباينة

أما بخصوص تأمين بعض الحاجات الضرورية، وخاصة الأغذية، فقد كان هناك تمييز بين الطلاب والطالبات على مستوى الأسعار في بعض الأحيان، لأسباب كانت مجهولة من قبل الطالبات اللاتي نقلن ذلك، مع ترجيح عوامل الاستغلال لهن بهذا المجال. وبحسب ما نقل عن إحدى الطالبات، ولم يتسن لنا التأكد من هذه المعلومة، فقد تعرض بعض الطلاب لحالة أشبه بالتسمم جراء تناولهم بعض الأغذية، التي ربما كانت

المختلف في إجراءات هذا العام، كانت بعض التدابير المتعلقة بالاحتياطات الاحترازية والوقائية من الكورونا، من خلال تخصيص بعض أماكن الحجر المؤقت لهؤلاء، بالإضافة لتدابير النقل والانتقال من وإلى المراكز الامتحانية.

المعلومات الرسمية

بحسب وكالة سانا بتاريخ 2020/6/11 «أعلنت وزارة التربية عن وصول الدفعة الأولى من الطلاب القادمين من ريف حلب الشرقي «منبج» والبالغ عددهم 522 طالباً وطالبة، لتلقيهم امتحانات الثانوية العامة في حلب، وذلك ضمن إجراءات احترازية صحية مشددة».

وأشارت الوزارة في بيان لها، أن «هذا الإجراء يأتي في إطار التعاون بين وزارة التربية وعدد من الجهات المعنية في محافظة حلب، وبالتنسيق مع المنظمات الدولية».

وفي تصريح لـ سانا أكد مدير تربية حلب إبراهيم ماسو: أنه «تم اتخاذ الإجراءات الوقائية كافة، بالتعاون مع عدد من الجهات المعنية لاستقبال الطلاب، حيث تتواجد فرق صحية مشكلة من دائرة الصحة المدرسية ومديرية الصحة لفحص الطلاب، وتسجيل بياناتهم، وإجراء ما يلزم ضمن الإجراءات الاحترازية المتخذة للتصدي لفيروس كورونا».

وأشار ماسو إلى أنه «تم التحضير لاستقبال الطلاب الوافدين من منطقة منبج في ريف حلب، من خلال تأمين أماكن الإقامة والحجر وعددها 11 مركزاً في منطقة هنانو وتزويدها بالكهرباء والماء والسلل الصحية والغذائية، وتقديم الدروس والمراجعات لتعويض الفاقد التعليمي».

إعدام الأطباق الشعبية

سوست عجيب

فارتفاعات الأسعار التي أخرجت الكثير من السلع الغذائية من سلة الاستهلاك اليومي والشهري للمواطنين، أخرجت كذلك ما كان يطلق عليه «أكالات شعبية»، مثل: «الفلافل والفول والحمص والمسبحة والبرغل والسلطات والمفركات والشوربات وغيرها» من هذه السلة أيضاً.

أسعار متذبذبة صعوداً

سجلت بعض السلع الغذائية التي تدخل في قوائم الطعام الشعبي اليومي ارتفاعات متتالية خلال الأسبوع الماضي، تجاوز بعضها 200%، وفيما يلي بعضها: كيلو السمنة النباتي بين 4000 - 5000 ليرة، كيلو السكر يتذبذب على حدود 1600 ليرة وبحسب المكان، كيلو الطحين تجاوز 900 ليرة في بعض الأسواق والمحال، كيلو المسبحة بحدود 2600 ليرة، كيلو الفول المسلوق بحدود 900

لم تعد هناك إمكانية للحديث عن وجود ما يسمى «طبق شعبي» أو «طعام شعبي» في ظل الارتفاع الجنوني للأسعار، بالتوازي مع انخفاض القيمة الشرائية لليرة، وفي ظل واقع الدخول الشهرية التي أصبحت شبه معدومة بهذه المقاييس، ناهيك عن العاطلين عن العمل الذين لا دخول لهم.



وبالحسابات التقريبية، إن التكلفة التقريبية لأية وجبة، كانت بالمقاييس القديمة تعتبر شعبية، أصبحت بين 3000-5000 ليرة، وبالتالي، أصبحت خارج هذا التصنيف الشعبي من الناحية العملية، فكيف الحال مع بقية الأطباق والوجبات؟!

مزيد من العوز الغذائي والجوع إن إعدام ما كان يسمى «الأكالات الشعبية» وإخراجها من سلة الاستهلاك اليومي للمواطنين، في ظل الواقع المجحف على مستوى الأجور وفرص العمل والتقلت في الأسواق ومعدلات الاستغلال المرتفعة، يعني: الحكم بمزيد من العوز الغذائي على الغالبية الفقيرة من السوريين، المعوزين مسبقاً، ويعني بالمحصلة: مزيداً من الجوع الذي تجاوزت إمكانات درئه كل حدود إمكانات المساعدات والتكاتف الاجتماعي، طبعاً وبسبب غياب دور الدولة على هذا المستوى، ومحدوديته وما يغلب عليه من أوجه فساد ومحسوبية نخرت بعمقه. فأين المفر؟!

ليرة، كيلو الحمص الحب المسلوق بحدود 800 ليرة، ليتر الزيت النباتي بحدود 3500 ليرة، صفط البيض 2600 ليرة - البيضة بحدود 86 ليرة، كيلو اللبن الرائب 650 ليرة، كيلو الحليب 500 ليرة، كيلو الجبنة بحدود 3000 ليرة، كيلو البطاطا والبندورة بحدود 400 ليرة، كيلو الرز بين 1000 - 2500 ليرة، علبة التون بحدود 1500 ليرة، علبة السردين بحدود 1000 ليرة، قرص الفلافل تجاوز 30 ليرة وسعر السنويشة تجاوز 500 ليرة، كيلو البرغل 1300 ليرة، كيلو العدس 1300، كيلو الحمص الحب 900.. الآن، لكم أن تحسبوا مثلاً تكلفة وجبة لخمسة أفراد بموجب هذه الأسعار، مثل: وجبة فول أو وجبة فلافل، أو طبق عجة، أو أية وجبة مفركات «بطاطا- كوسا..» طبعاً بدون لحم، ووجبات الشوربات الخفيفة والمعكرونة، بل وحتى صحن السلطة أو المقالي «بطاطا- باذنجان- كوسا- زهرة».

كلام الناس..



يقولوا كلام الناس كثير وما بيخلص... هيك يقولوا... يمكن صح ويمكن لا! بس اليوم كلام الناس والسوريين بالأخص يلي ما عم يخلص... بس بطعمة هاه... عم يطلعوا كل قهرون بالحكي لأنو ما طالع بايدون غير الحكي لهلا.. بس ما منعرف بكرأ شو مخبي..

■ دعاء دادو

بزمنا: لك اليوم صار سعر الغرام رسمياً 100 ألف ليرة...

أي يلا شبو الذهب البرازيلي من شو بيشكي؟؟

بتعرفوا.. ع هل الارتفاع هاد ارتحت من نق أبي وأمي عليي أيمت بدنا نخطبك!!!

أصلاً وبلاً هل الجازات... يا دويوا الواحد عم يحسن يشبع حالو بهل الغلا...

قالوا: عم يعملوا مبادرات خلاقة من السورية للتجارة... 3 كيلو رز+ 2 كيلو سكر بسعر

الـ 1000 ليرة للكيلو الواحد مع وجود دفتر العيلة والهوية!!!

في حدا صلح المقصود بهل المبادرة وقال: «نرجو اصطحاب دفتر العائلة والهوية وبيان

عائلي ودفتر الجيش وبراءة ذمة من المالية وشعرة من شنب نمر وردي وبتفقيقوا من

الـ 4 الصبح لتتحشروا مع العالم، وتنتظروا بالدور لتجي السيارة وبيعطوا كم واحد

كرمال الصور وع الفيس فوراً، والباقي يباخذ الكورونا وبيرجع ع البيت مبتسم للحياة،

وما حصل ع شي بالأساس!! قالوا: بس هل المرة مو الناس يلي قالت..

هزن يلي قالوا: إنو اللبنانيين يقفون ع طوابير الخبز للحصول على ربة خبز...

ع أساس نحن وضعت أحسن منون... أي بالبطاقة الذكية وبرنامجون تبع تأمين

احتياجات المواطن وضربو منية واصله للسماء، وما زال المواطن السوري لليوم

عم يعضوا رجليه من وقفة ع الفرن كرمال يحصل ع ربطين خبز بدل الأربعة!!!

ترا كل يوم عنا نهفات حكومية غير شكل بتخلي حتى الحجر ينطق وما عاد يسكت

منون يمين... كرمال تعرفوا تأثيرون الرهيب بكل شبر

وبقعة من أرض الوطن... قالوا: الأسعار كلها ارتفعت... ويا شحاري

وشحاروا وشحار كل مين مسؤول عن عيلة وعندو ولاد صغار...

كيلو اللبنة بـ 2400 ل.س، والجبنة بـ 5600 ل.س، صحن البيض بـ 2800 ل.س، والسكر

بـ 1600 ل.س، وكيلو المسبحة بـ 2500 ل.س، الزعتر بـ 4000 ل.س..

وهي الأسعار تبع كسر السفارة بس يا عيونني... وغيرو وغيراتو من حفايض

وحليب والأدوية والذي منو... وواحد منون عقب ع الأسعار وقال «أرخص

شي بسورية هو المواطن أما الباقي كلو غالي والو قيمة»

قالوا عن هدا المقوص الأخضر: دريتوا؟؟ صار سعرو بالسوق السودا كذا والله حلق

بالعلالي... لك دريتوا نزل سعرو بالسوق السودا لـ كذا...

يعني ع أساس إن نزل رح تنزل الأسعار معو؟؟

يا لطيف في شي مو طبيعي... الله يسترنا من المقلب الجاي!!

أي وهيك... قالوا عن هاد يلي كانت النسوان تتزين فيه

فيها» في واحد لخص شوي ع يلي عم يصير عنا

وقال: «يلي عم يموتوا بسورية بسبب الفقر أكثر من يلي عم يموتوا بالكورونا.. وتجارنا

مثل مرض السرطان ما بيشبعوا نهش فينا.. وحكومتنا ما عندا قدرة ع كبح فساد التجار

مدري لي؟؟» بيقولوا: يلي بدو يؤلف كتاب بيبكي الحجر

من الواقع... يتفضل لعنا ع سورية.. من واقع عيشتنا السودا فيكون تعملوا أجزاء من أروع

كتاب مأساوي... بالنهاية، المشكلة اليوم عنا هي: إنو الغني

والفقير جوعانين... الفقير مو ملاقي ياكل والغني مو رضىان يشبع، والحكومة أدن من

طين وأدن من عجين... وخليها ع الله أحسن الشئ...

شافوا غيرنا ومستحيين يشوفونا؟؟؟ يا

عبيشوم بس يلا المهم، الله يفرج ع الأمة العربية كلها من

الظلام و. فهمتوا عليي أكيد... بما إنو نحن كشعب حظنا زفت ببلدنا.. لذلك

رح ندخل بمشروع إعادة الإعمار ونزفت شوارع البلد كلها... ما علينا

المهم، لتحمي حالك وعائلتك والناس من حوك من خطر الإصابة بالكورونا:

ابتعد عن التجمعات قدر الإمكان.. ارتدي الكمامة، خاصة في وسائل النقل والأماكن

المزدحمة... التباعد المكاني يعني لا توقف ع طابور الخبز أو ع شي طابور من الطوابير

يلي بتصير ضمن المبادرات الخلاقة!!! والله يحمي الجميع...

صدقت مقولة «أنا أطوف ع الحياة ولا أعيش

3.9 مليون سوري يعانون من انعدام الأمن الغذائي

صدر مؤخراً تقرير قطري جديد لبرنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة عن سورية، ويغطي هذا التقرير الفترة حتى نهاية شهر أيار 2020، متضمناً بعض الأرقام والبيانات والمعطيات.

■ سمير علي

ومما ورد في التقرير: «بعد تسع سنوات من النزاع، لا تزال الأسر في جميع أنحاء سورية تتعرض لمستويات متزايدة من الفقر وانعدام الأمن الغذائي، وتستمر الاحتياجات الإنسانية الشديدة في جميع أنحاء البلاد».

تفاصيل

بحسب التقرير فإن: «الوضع العام للأمن الغذائي أخذ في التدهور في جميع أنحاء البلاد، وتحتاج الأسر إلى الدعم لتلبية احتياجاتها وإعادة بناء حياتها».

أما عن أسباب هذا التدهور فقد عزاها التقرير إلى: «الأعمال العدائية واسعة النطاق - النزوح الجماعي عبر المحافظات الشمالية - إلى جانب التراجع الاقتصادي الحاد». فقد أشار التقرير، إلى أن «سورية تعاني حالياً من أزمة اقتصادية

«6.7 مليون شخص تلقوا مساعدات من البرنامج في عام 2019».

«يقدم برنامج الأغذية العالمي المساعدات الغذائية المنقذة للحياة لعدد يبلغ 4.5 مليون شخص في سورية كل شهر. ويشمل ذلك الأسر التي تحتاج إلى الأغذية المخصصة لحالات الطوارئ التي تقدم أثناء النزاعات وموجات النزوح، وكذلك أولئك الذين يحتاجون إلى المساعدة لتحسين تغذيتهم وضمان تمتعهم بالأمن الغذائي».

عوامل مغفلة من التقرير

التقرير لم يجاف الحقيقة العامة التي تؤكد استمرار التدهور المعيشي وصولاً لتزايد مستويات الجوع بالنتيجة.

لكن على الرغم من ذكر التقرير لبعض الأسباب حيال ذلك، إلا أنه، كما جرت العادة مع مثل هذه التقارير التي تصدرها المنظمات الدولية، أغفل بعضها الآخر مما يمكن اعتباره من العوامل الخارجية المؤثرة على الداخل بعمقه، وخاصة على المستوى الاقتصادي ارتباطاً

حاددة، وسيترتب على ذلك ارتفاع معدلات انعدام الأمن الغذائي».

ومن العوامل التي تزيد من صعوبة حصول الأسر على الأغذية التي تحتاج إليها، بحسب التقرير: «ارتفاع أسعار الغذاء والوقود - انخفاض سعر الصرف غير الرسمي».

فقد ورد في التقرير أنه: «مع ارتفاع الأسعار، اضطرت الأسر إلى تبني تدابير قد تترتب عليها عواقب ضارة للتكيف مع الأوضاع... بعض الأسر تقلل من عدد وجباتها اليومية من ثلاث وجبات إلى وجبتين، كما تبين ارتفاع عدد الأشخاص الذين يشترتون المواد الغذائية بالاستدانة، كما تلجأ بعض الأسر إلى بيع الأصول والماشية لإدراج دخل إضافي».

أرقام

ووفقاً لتقديرات البرنامج: «يعاني حالياً نحو 9.3 مليون سوري من انعدام الأمن الغذائي، بزيادة قدرها 1.4 مليون شخص خلال الستة أشهر الماضية فقط». «11.1 مليون شخص يحتاجون إلى المساعدة الإنسانية».



يكون لها الأثر والدور الأكبر على مستوى زيادة معدلات الجوع وتفاقمه واستمراره، ولعل إغفالها وتجاهلها من خلال مثل هذه التقارير يعيق إمكانية الوصول للحلول الحقيقية الناجزة لمشكلة الفقر، وانعدام الأمن الغذائي والجوع، وربما لازمة الوطنية العامة كذلك الأمر، وهي على ذلك لا يمكن إخراجها من دائرة التوظيف والتسييس والاستثمار.

بالعقوبات المفروضة على سورية مثلاً، وأثارها ونتائجها على مستوى زيادة معدلات ومستويات انتشار الجوع، التي لم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد. وكذلك لم يشر إلى بعض العوامل الداخلية المؤثرة أيضاً على تزايد مستويات الجوع وتعمقه وانتشاره، مثل: عوامل النهب والفساد. وهذه وتلك من العوامل المتشابكة والمتربطة داخلياً وخارجياً، ربما

الكورونا والإجراءات الإسعافية المفقودة!



لا نريد بث الرعب والذعر، لكن بعض المؤشرات تقول: إننا مقدمون على كارثة بما يخص تفشي وباء الكورونا، إن لم نتخذ المزيد من الاحتياطات الوقائية، الفردية والعامة، الرسمية وغير الرسمية، لمواجهة هذا الخطر والحد منه قبل وقوعه.

■ عادل إبراهيم

واقع هشاشة النظام الصحي لدينا وترهله، حيث تعتبر الإصابات بالطواقم الطبية العاملة مؤشراً إضافياً نحو المزيد من الضعف والهشاشة.

سلسلة الانتشار بدأت والخطر داهم!

بعيداً عن الخوض في الكثير من التفاصيل، وبعيداً عن تجيير وتقاذف المسؤوليات، يجدر التنبيه إلى أن أمر التفشي لم يعد من الممكن التعامل معه على أنه موضوع أمني محصور بالقادمين من الخارج فقط، بحسب ما يتم الترويج له حتى الآن.

فقد أصبح لدينا مصابون محليون، وهؤلاء لا شك خالطو وتعاملوا مع الكثير من المواطنين خلال فترة حضانتهم للفيروس قبل اكتشاف إصابتهم وعزلهم، اللهم بحال الاعتماد على إجراءات العزل المعمول بها والمتبعة، وهو الأمر المشكوك فيه بدليل تزايد الإصابات، وانتقال المرض حتى من خلال البعض ممن فرضت على أماكن تواجدهم إجراءات الحظر، مثل: مناطق السيدة زينب ورأس المعرة وجديدة الفضل وغيرها.

والحال كذلك، فإن سلسلة الإصابة قد بدأت تفعل فعلها من الناحية العملية، ولعل الدليل الجلي على ذلك هو تزايد الأعداد المكتشفة حتى الآن والمعلن عنها رسمياً، بما في ذلك الإصابات في الكادر الطبي نفسه، وهو الأخطر.

فمخالط هؤلاء في المشافي كثر، نظراً لطبيعة عملهم، سواء على مستوى الطواقم الطبية في المشافي الأخرى، أو على مستوى طلاب الدراسات في الاختصاصات الطبية، أو على مستوى المواطنين المحتكين معهم في عياداتهم وأماكن عملهم الأخرى.

إجراءات إسعافية أولية

واقع المنظومة الصحية بحالها الراهن، وعلى ضوء ما يعانيه القطاع الصحي من تراجع وترهل، وما أصابه من نزف بكادراته وطواقمه خلال سني الحرب والأزمة، وما يسجل من نواقص فيه على مستوى المنشآت والتجهيزات والمستلزمات، وما يواجه من صعوبات على مستوى التمويل والإنفاق، مع عدم تغليب استنزافه نهياً وفساداً، لا يمكن التعويل عليه لمواجهة انتشار وتفشي أية جائحة مرضية، فكيف بجائحة، مثل: الكورونا؟

كذلك، بعيداً عن الخوض في أسباب كل ما سبق وتفنيدها، فإن الحديث بداية عن توفير مستلزمات الحماية الأولية، المتمثلة بالكمامات والمعقمات من المفروض أن تعتبر من البديهيات مبدئياً، ومن غير المقبول أن يكون هناك تراخ بتأمين هذه المستلزمات وتوفرها، أولاً؛ بشكل خاص لكافة العاملين في المشافي والمراكز الصحية والمستوصفات، سواء كانوا من الطواقم الطبية أو غيرهم من الطواقم العاملة في هذه الأماكن، على أن توزع مجاناً وبشكل دوري وبحسب الحاجة الفعلية، وليس كما هو معمول به، حيث يضطر أفراد الطاقم الطبي مثلاً لتوفير الكمامات وإعادة استعمالها، أو شرائها على حسابهم، وثانياً؛ بشكل عام لكافة المواطنين بأسعار مقبولة ومواصفات جيدة، من أجل الالتزام بإجراءات الوقاية الفردية والشخصية، والتقييد بها، وربما المحاسبة

فمن خلال تتبع أعداد الإصابات، بحسب المعلن رسمياً خلال الفترة الماضية، وعلى الرغم من انخفاضها حتى الآن بالمقارنة مع غيرنا من البلدان، المجاورة والبعيدة، يتبين أن هناك تزايداً ملحوظاً فيها، ويتزامن ذلك مع استمرار تخفيف الإجراءات الاحترازية والوقائية العامة المتخذة رسمياً، ومع التراخي بإجراءات الوقاية الفردية.

استئناف الأنشطة وتضاعف الإصابات

تضاعفت أعداد المصابين بالوباء خلال شهر تقريباً، وخلال هذه الفترة تراجعت إجراءات الحماية والوقاية على المستوى الرسمي والشخصي، واستأنفت كافة الفعاليات الاقتصادية نشاطها، وكان آخرها «موافقة الفريق الحكومي على رفع نسبة الإشغال في المنشآت السياحية من 30 إلى 50 في المئة مع استمرار منع تقديم الأراكيل»، وفيما يلي جدول يوضح تطور أعداد المصابين بحسب البيانات المعلنة من قبل وزارة الصحة، بحسب ما ورد عبر صفحتها الرسمية، على مدار شهر تقريباً:

تحذير منظمة الصحة العالمية

نقل عن مدير المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة في الشرق الأوسط، ريتشارد بريان، عبر وسائل الإعلام، قوله بتاريخ 2020/6/26: «إن عدد المصابين بفيروس كورونا في سورية منخفض، لكن هناك خطر حدوث انفجار في أعداد الإصابات في المستقبل القريب».

وتابع: «في بلدان أخرى في المنطقة، زاد عدد الحالات في البداية ببطء، ثم ارتفع بشكل حاد. رأينا هذا في العراق وتركيا ومصر. ونتوقع تماماً أنه ستكون لدينا مشكلة مماثلة في سورية».

وأضاف: «أنه لا يزال من الممكن في سورية منع حدوث زيادة حادة في عدد الإصابات بفيروس كورونا، من خلال مساعدة السلطات السورية على إجراء الاختبارات وتتبع اتصالات المصابين بالفيروس مع الآخرين».

حرص حكومي ولكن!

الحكومة، ومن خلال فريقها المعني بالتصدي لوباء الكورونا، ما زالت تؤكد على التشدد بتطبيق الاشتراطات الصحية والتباعد المكاني والحد من الازدحام، مع التأكيد على دور المواطنين في الحد من انتشار الفيروس عبر التزامهم بالاشتراطات الوقائية، في الوقت الذي استكملت فيه إلغاء كافة الاحتياطات والإجراءات الاحترازية والوقائية العامة، التي تم اتخاذها رسمياً خلال الفترة السابقة.

وكذلك طلبت وزارة الداخلية من المواطنين، حرصاً على الصحة والسلامة العامة، «عدم التستر على الأشخاص الذين يدخلون القطر بطريقة غير مشروعة، والمبادرة إلى الإبلاغ عنهم فوراً منعاً لأي خطر باحتمال نقلهم لفيروس كورونا».

بالمقابل، وفي تطور لافت، فقد بدأت تظهر بعض الإصابات في الطاقم الطبي العامل في المشافي ومراكز الرعاية والحجر، وهذا يعتبر من المؤشرات الخطرة، ليس فقط على مستوى انتشار المرض، بل بسبب

الوباء الفيروسي، سواء على مستوى لوازم الاختبارات والمسحات، أو على مستوى غرف الإنعاش ولوازمها وتجهيزاتها، وعلى مستوى الأدوية والعلاجات، وتسخير كل الإمكانيات اللازمة بهذا الشأن، بعيداً عن كل أشكال التهرب من المسؤوليات وتجييرها وأوجه الفساد فيها.

كل ما سبق، هي بعض الإجراءات الإسعافية الأولية التي لا يمكن اعتبارها من المستحيلات، أو صعبة التحقق، تليها ربما بعض الإجراءات الوقائية العامة، وخاصة بما يتعلق بأماكن الازدحام والطوابير، وضرورة إيجاد الحلول المؤقتة والجديدة لها، وغيرها من الإجراءات الاحترازية والضرورية الأخرى.

وأخيراً، وبعد كل ذلك، ربما يبدو الحديث عن الثقة بالمواطنين والتعويل على وعيهم في مكانه، وليس باباً للمواربة من أجل تحميلهم مسؤوليات فوق طاقتهم، وليست من مسؤولياتهم أصلاً.

فهل من الممكن تحقيق وإنجاز ذلك قبل حلول الكارثة؟!

والمخالفة عليها بحال عدم التقيد، وخاصة في الأماكن العامة والمزدحمة، مع فرض التباعد الجسدي في هذه الأماكن أيضاً، وهي إجراءات أولية تحول ربما دون عودة فرض الحظر الجزئي أو الكلي.

كذلك الحديث عن أماكن العزل والحجر وضرورة التقيد بشروطها ومواصفاتها، وخاصة ناحية عمليات التعقيم واستمرارها، مع التشدد بهذا الشأن، شريطة الحفاظ على كرامات المعزولين والمصابين، وتطبيق ما قيل أنها بروتوكولات طبية معتمدة لمواجهة الجائحة بحذافيرها وعلى أكمل وجه، بما في ذلك ما يتعلق بتتبع المصابين والمخالطين.

فواقع الحال يقول حتى الآن: إن الإجراءات المعمول بها، فيها بعض الاستهتار واللامبالاة، سواء على مستوى عمليات التعقيم والشروط الواجب توفرها بهذه الأمكنة، أو على مستوى التعامل مع هؤلاء المعزولين والمحبوسين ومتطلباتهم واحتياجاتهم، حيث تفتقر للجانب الإنساني في بعض الأحيان.

كذلك العمل الجدي لتأمين المستلزمات الخاصة

تضاعفت أعداد المصابين بالوباء خلال شهر تقريباً وخلال هذه الفترة تراجعت إجراءات الحماية والوقاية على المستوى الرسمي والشخصي واستأنفت كافة الفعاليات الاقتصادية نشاطها

التاريخ	النشطة	الشفاء	الوفيات	الحصيلة
6/27	145	102	9	256
6/26	145	102	8	255
6/25	139	96	7	242
6/24	130	94	7	231
6/22	129	83	7	219
6/21	114	83	7	204
6/15	93	78	6	177
6/13	93	71	6	170
6/12	90	68	6	164
6/11	87	68	6	152
6/8	76	62	6	144
5/27	74	43	4	121

يقف البعض على «أطلال» ما قبل الأزمة ليتغنوا ويقولوا: «أين كنا وأين أصبحنا!» وهو بالفعل سؤال محق، ولكن الإجابة موضوعياً تقول: إننا كنا عند حد الكفاف، أما اليوم فقط سقطنا في أعماق الفقر. وهذا بالطبع حال معظم السوريين، وتحديدًا الشغيلة العاملين بأجر الذين كانت ولا زالت منظومة توزيع الثروة والدخل في سورية تعطيهم أجراً لا يكفي للاستمرار!

أجر 2010 كان على حدّ الجوع والأجر اليوم يجب ألا يقل عن 490 ألف ليرة!



أجرت بعض المصادر الصحفية المحلية مقارنة لحجم الأجر المطلوب اليوم لتكون الأجور بالقوة الشرائية لعام 2010، وأعلنت أن هذا الحد الذي يبلغ 310 ألف ليرة هو الأجر المطلوب. ولكن من قال: إن العودة إلى 2010 هدف مطلوب؟!

■ عشرار محمود

فلنطرح سؤالاً أولياً؟ ما هي القدرة الشرائية الفعلية للأجر السوري الوسطي في عام 2010؟ سنستخدم سلة الغذاء والمشروبات الأساسية كمقياس لهذه القدرة الشرائية...

القدرة الشرائية للأجر في عام 2010... عام 2010 بلغت الأجور الوسطية في سورية 11300 ليرة سورية تقريباً، وكان هذا الأجر يعيل 4.1 شخص، أي يجب أن يُنفق على حاجات أربعة أشخاص تقريباً ممن يعيلهم العامل بأجر «بناءً على ما يسمى معدل الإعالة الاقتصادية».

وهذا الأجر كان وسطياً يستخدم «للأكل والشرب»، ولا يكفي لأكثر من ذلك، فأرقام مسح دخل ونفقات الأسرة لعام 2009-2010، أشارت إلى أن الأسرة السورية المكونة وسطياً من خمسة أشخاص كانت تنفق 14 ألف ليرة على الغذاء شهرياً، وهو مؤشر على تكلفة سلة الغذاء والمشروبات الأساسية.

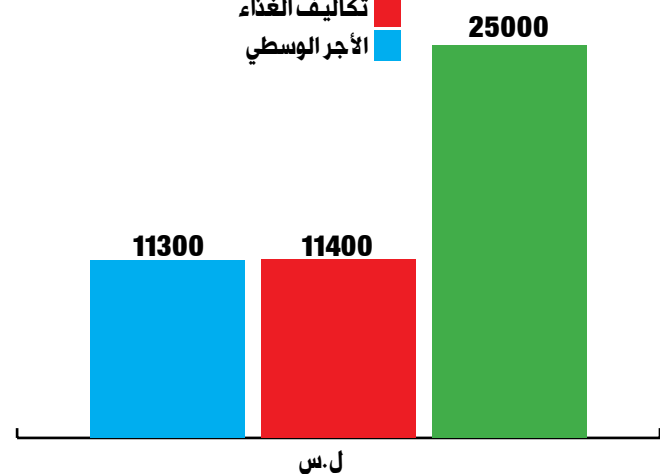
ما يعني، أن حاجة الغذاء لأربعة أشخاص يعيلهم صاحب الأجر، كانت تبلغ: 11500 ليرة تقريباً في عام 2010. وكان الأجر قادراً على تغطية هذه الحاجات ولكن ليس بشكل تام...

في عام 2010 كان صاحب الأجر يضع راتبه في المنزل لتصرفه الأسرة على غذائها، بينما يسعى مع أفرادها الآخرين لتغطية باقي النفقات: أجار البيت أو قسطه، التدفئة، اللباس، التعليم، الصحة، النقل، الاتصالات وغيرها. هذه الحاجات التي تعتبر

تصنيفات تكاليف المعيشة الإجمالية والتي كانت تتطلب من الأسرة أكثر من 30 ألف ليرة، ولأربعة أشخاص 25 ألف ليرة تقريباً. وهو ما أشار إليه مسح دخل ونفقات الأسرة عندما صرح بأن الراتب يشكل وسطياً 51% من دخل الأسرة، بينما النسب الباقية تتوزع على «المكافآت، الهدايا النقدية والعينية، المساعدات وغيرها...».

أجر 2010 كان يعادل غذاء شهري لأربعة أشخاص!

تكاليف المعيشة
تكاليف الغذاء
الأجر الوسطي

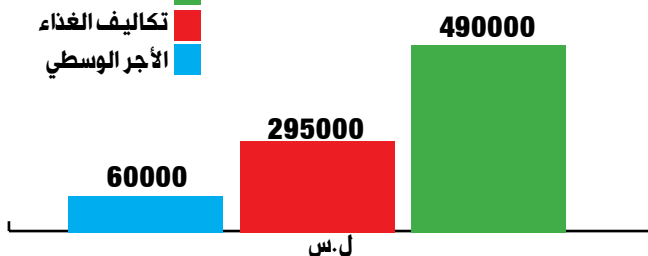


والاعتماد على الذات لنقابات العمال في عام 1987 باعتبارها سلة محسوبة بأن تغطي حاجات غذائية أساسية من 8 مكونات فقط، وبمجموع 2400 حريرة يومياً. فإن تكلفة هذه السلة للفرد في منتصف حزيران 2020 وصلت إلى 1970 ليرة يومياً، و59 ألف ليرة شهرياً. أما للأسرة فقد وصلت إلى 295 ألف ليرة. إن الأجر الوسطي السوري اليوم يعني: أن لا أحد قادر على إعالة أحد... حتى الفرد العامل لا يستطيع بهذا الأجر أن يؤمن الغذاء الكافي لنفسه!

ولكي يعود الأجر السوري إلى مستوى القدرة الشرائية لعام 2010، عليه أن يكون قادراً على تغطية غذاء 5 أشخاص، يجب أن يعيلهم الأجر، أي أن يبلغ بالحد الأدنى 295 ألف ليرة. وذلك لنعود إلى حد الجوع كما كنا في 2010.

أجر 2020 أصبح غير قادر على تأمين غذاء أسرة واقل من حاجة غذاء شخص واحد!

تكاليف المعيشة
تكاليف الغذاء
الأجر الوسطي



القوة الشرائية لأجر 2020!

وسطي الأجر في سورية اليوم يقارب 60 ألف ليرة، ولكن هذا الأجر لم يعد يعيل أربعة أشخاص، بل أصبح بالحد الأدنى يعيل 5 أفراد، نتيجة ارتفاع معدل البطالة، وزيادة العبء على المشتغلين. «تم حساب معدل الإعالة الاقتصادية بـ خمسة أفراد، بناءً على افتراض أن عدد السكان داخل البلاد 19 مليون شخص تقريباً، وأن عدد المشتغلين يقارب 3.7 مليون شخص وفق المجموعة الإحصائية لعام 2019».

وإذا ما كان الأجر في عام 2010 قادراً على تغطية حاجات الغذاء لـ 4 أشخاص، يعتمدون على أجر واحد، فإن الـ 60 ألف ليرة تستطيع أن تغطي تكاليف غذاء الحد الأدنى لشخص واحد فقط!

بأخذ سلة الغذاء المعتمدة من مؤتمر الإبداع

تحتاج الأسرة
لتأكل غذاء
يومية ضرورياً
295 ألف ليرة
شهرياً وإذا ما
كان الغذاء 60%
من التكاليف
الإجمالية
للمعيشة فالأجر
لا يجب أن يقل
عن 490 ألف ليرة!



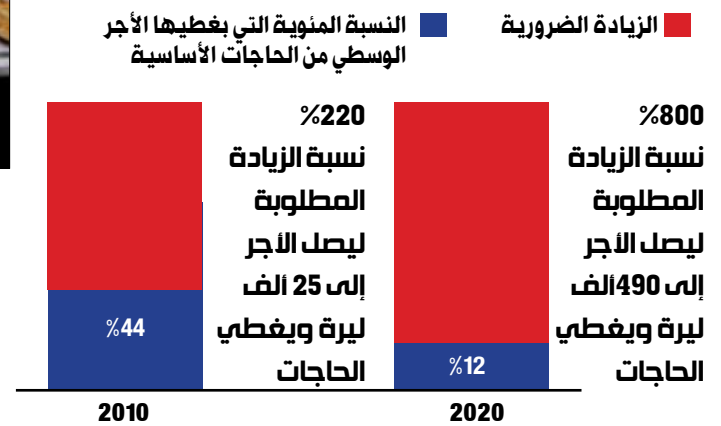
يمكن إلا بقلب هذه المنظومة وإحداث نقلات نوعية وبتعبير أدق ثورية: توقف الحرب، وتلغي العقوبات، وتفرض الإرادة السياسية لأغلبية السوريين على السياسات والبرامج الاقتصادية، لتتتم على التوازي: زيادة الناتج، وزيادة حصة الأجور منه.

والعقوبات على التوازي مع حجم قوى النهب والفساد وفرضها لاستمرار السياسات الليبرالية، وعدم القدرة على القيام بأدنى إجراء فعال شعبياً. ومن غير الممكن حل وضع الأجور في سورية من قلب منظومة الإنتاج والتوزيع الحالية، بل لا

وليتم تخصيص الجزء الأهم من هذا النمو لانتشال شغيلة سورية من قاع الفقر إلى حدود سدّ الرمق، ومنه لاحقاً إلى المستوى الطبيعي للقدرة على الاستمرار... وضع الأجور السوري حاد بشكل استثنائي، وهذا بالطبع يرتبط بالظرف السوري: الحرب

تحتاج إلى مضاعفة الأجور أكثر من ثماني مرات. فإذا ما اعتبرنا أن الغذاء أصبح يشكل نسبة 60% بالحد الأدنى من مجمل إنفاق الأسر، فإن العامل الذي يجب أن يعيل أسرة من خمسة أشخاص، أصبح يحتاج أجراً شهرياً: 490 ألف ليرة سورية، ليؤمن الغذاء بحدوده الدنيا، ويتبقى 40% من أجره لتغطية كامل الحاجات الأخرى. إن هذه الحسبة مأخوذة بالمستويات التقشفية للظروف السورية الحالية، فسلّة الغذاء إذا ما تم توسيعها إلى حاجات المشروبات ومكونات أخرى إضافية، فإنها تصل إلى 330 ألف ليرة، ليكون الأجر الضروري لتغطية تكاليف المعيشة يصل إلى 600 ألف ليرة.

نسبة ما يغطيه الأجر الوسطي السوري من الحاجات الأساسية ومقدار الزيادة المطلوبة بين 2010-2020



تكاليف السلّة الغذائية الأساسية للفرد يومياً - حزيران 2020	الأوزان غرام	السرعات الحرارية حريرة	الأسعار ليرة سورية
الخبز	500 غ	1275	19,5
البيض	50 غ	75	90
اللحم	75 غ	108	537
الجبنة	25 غ	200	67
خضار	250 غ	65	215
فواكه	200 غ	60	366
ارز	70 غ	280	140
السكر	112 غ	337	532
المجموع		2400	1970
تكلفة الغذاء الضروري فقط شهرياً لأسرة من خمس أشخاص: 295 ألف ليرة			

*السلّة بناء على مؤتمر الإبداع والاعتماد على الذات لنقابات العمال السورية في عام 1987، وهي لا تتضمن المشروبات ومكونات غذائية أخرى.



لم تكن منظومة توزيع الثروة والدخل في سورية إنسانية قبل الأزمة، وكانت تدفع أصحاب الأجر للبحث عن أية سبل ليعطوا الحاجات الباقية... فليست فقط ممارسة عمليين وتشغيل الأطفال، بل أيضاً كان على العامل أن يبحث عن أجر إضافي ضمن الساعات الثمان التي يقضيها في عمله، لتصبح الرشوة والفساد الصغير منهجاً معمماً وناجماً عن توزيع الثروة. وكان هذا التوزيع اللإنساني هو سبب ما يسميه البعض «أزمة الأخلاق الشعبية»، بينما أزمة الأخلاق الفعلية موجودة بالدرجة الأولى لدى «النخب» وتحديداً من يملكون التحكم بتوزيع الثروة والدخل ويوزعون، بحيث لا تحصل الأغلبية من السوريين لقاء أعمالها الأساسية إلا على ما يسد الرمق! بينما الثروة والربح يتركزان في الشرائح الأضيق الأعلى.

أما اليوم، فإن هذه المنظومة لم تستمر فقط، بل تعمقت وتجاوزت اللإنسانية لتصبح منظومة «إجرامية» ولا يمكن توصيفها بأقل من ذلك، لأنها تؤدي مباشرة إلى «القتل»... فالسوريون خسروا من وسطي أعمارهم بمعدل سنوي، وترتفع نسبة وفيات الأطفال نتيجة نقص التغذية، وتزداد الجلطات القلبية والأمراض المزمنة لتسجل مستويات قياسية في سورية، وتنتهي روابط الأسر، فنشهد جرائم لا سابق لها ضمن الأسرة الواحدة، وأطفالاً مرميين في الشارع، ونساءً يجمعن الطعام من القمامة، ولا يجدن ما يأكلنه!

المسألة سياسية-اقتصادية

من الصعب أن تتم زيادة الأجور دفعة واحدة لتصل إلى 490 ألف، وهذه

ورقة صغيرة مطلية بالكلوروفيل: عن العولمة وسطوة الدولار



الأشياء تنداعى، الفوضى المحضة أطلقت على العالم، والعولمة لا يمكن أن تصمد. نعلم ذلك لأن هنري بولسون، الذي كان في يوم من الأيام الرئيس التنفيذي لشركة غولدمان ساكس (Goldman Sachs)، ثم وزير الخزانة الأمريكي خلال الأزمة الأخيرة، يحشد رأسمالي العالم للدفاع عن العولمة من الحمائية، وإعادة شراء السلع المصدرة، وضوابط الهجرة. يدرك بولسون أن هذه حرب أفكار، فقد حذر في أعمدة الفاينانشيال تايمز من أن «المعركة الوشيكة ستضع قوى الانفتاح المتجذرة في مبادئ السوق، ضد مبادئ الإغلاق عبر أربعة أبعاد: التجارة، تدفقات رأس المال، الابتكار والمؤسسات العالمية».

■ آن بيتيفور*
ترجمة شاكرا جرار

إن هذه «المعركة الوشيكة» تميل بالفعل لصالح طبقة الدائنين في العالم، المدعومة من قبل محافظي البنوك المركزية، وعلى وجه الخصوص من قبل مجلس الاحتياطي الفيدرالي، الذي يفعل أقوى سلاح لديه، وهو الدولار الأمريكي، تلك «الورقة الصغيرة المطلية بالكلوروفيل». لقد أوضحت أفعالهم أنه قد لا تكون هناك لجنة دولية لإنقاذ الناس من جائحة عالمية، ولكن، هناك لجنة دولية تنشئ «شبكة أمان عملاقة» لإنقاذ القطاع المالي الخاص من الجائحة. انخرط محافظو البنوك المركزية في إجراءات حاسمة وموسعة ومنسقة دولياً لإنقاذ الرأسمالية الريعية، على الرغم من أن حكومات ترامب وبولسونارو ومودي وجونسون أساءت التعامل بشكل خطير مع أزمة كورونا.

«التقدميون»... يتجاهلون البنية المالية المعولمة

أين يقف التقدميون في ساحة المعركة الدولية هذه فيما يخص الأفكار المتعلقة بالعولمة والسياسة النقدية؟ إذا بنينا حكمنا على مستوى ونبرة النقاش العام الغربي، فإن التقدميين على هامش الساحة المؤيدة والمناهضة للعولمة. قدمت كل من الحملة الانتخابية التي قادها جيريبي كوربين وترشح بيرني ساندرز للرئاسة في الولايات المتحدة تحليلاً سليماً وتعاطفاً عميقاً وتضامناً صادقاً مع ضحايا العولمة وتدهور المناخ. لكن حملتيهما ركزتاً غالباً على القضايا المحلية: الأنظمة الصحية، تأمين السكن بأسعار معقولة، تأمين السكك الحديدية والعطف على الفقراء والمشردين؛ بينما تجاهلت [الحملتان] البنية التحتية المالية المعولمة التي تكاد تجعل إصلاح هذه القطاعات مستحيلاً، إضافة إلى المؤسسة السياسية التي ستقاتل حتى الموت دفاعاً عن النظام. هذا الجهل بالعناصر المؤدية للنظام النقدي الدولي وتأثيره على الجنوب العالمي، يخدم النقاش ويثبط «الاحتمالات الراديكالية». ففي نهاية المطاف، لا يمكن تغيير نظام، وإعادة تصميم بنية مالية دولية، دون أن يكون هذا النظام مفهوماً ومناقشاً. بكلمات أخرى، كي نقرر إلى أين نتجه، يجب أن نفهم كيف وصلنا إلى هنا. التغييرات المطلوبة في النظام المالي الدولي؟

إذا أردنا أن نكسب معركة الأفكار، وأن نُبطل مفعول العولمة المفرطة وتفضيلها الوحشي للريعية على حساب مصالح الناس والكوكب، فعلى التقدميين إذن وضع خطة لتفكيك النظام الحالي، وبناء هيكل نقدي دولي أكثر عدالة وديمقراطية، وبالتالي أكثر استدامة. يبدأ ذلك بتحدي تفوق الدولار.

أحد الأهداف التي يجب استكشافها، هو: إمكانية إنشاء نظام يمكن فيه استخدام جميع العملات في المعاملات الدولية والمحلية، بغض النظر عن حجم الاقتصادات التي صدرت فيها تلك العملات. وكما حاجت جين داربيستا في عام 2003، «على احتياطي الأصول الدولي» (العملة العالمية) أن يستجيب للحاجة إلى الشمول: يجب أن تستند قيمته إلى سلة موزونة تجارياً من عملات جميع الدول الأعضاء.

في قمة هذا البناء النقدي الدولي التقدمي، سيكون هناك بنك: مؤسسة دولية تسهل المعاملات بين الدول أو الأقاليم. يمكن أن تستخدم سلطاتها لثني الدول عن مراكمة «السحب على المكشوف» [6] أي العجز في تجارتها، وضبط الدول الأعضاء التي تراكم فوائض ضخمة، لأن فائض بلد ما هو إلا عجز بلاد أخرى. وبهذه الطريقة يمكن أن يساعد في إنهاء الاختلالات العالمية الحالية.

كان يمكن لهذا البنك فعل المزيد. إذ يمكن أن يحتفظ بالأوراق المالية (السندات الحكومية) للبلدان الأعضاء، ويستخدم هذه الأصول أو الحيازات الاحتياطية لتوليد سيولة إضافية. بعبارة أخرى، فإن الأصول السيادية المضمونة والأمنة، ستتمكن البنك من القيام بما يفعله الاحتياطي الفيدرالي

حالياً، أي خلق السيولة ولعب دور «المقرض الأخير».

سيكون أساسياً لصحة النظام الدولي أن يدار ويُشرف عليه بشكل ديمقراطي، ليس من قبل السلطة الخاصة، بل من قبل السلطة العامة. على القطاع المالي أن يعد التمويل خادماً، لا سيداً، للاقتصاد العالمي، أو الاقتصاد الأوروبي، أو أي اقتصاد وطني. قد تبدو هذه الأفكار طوباوية، لكن وجوه المؤسسة المعهودة- التي تستشعر خطورة المنعطف الحالي- تتحرك بسرعة لتبني أفكاراً أكثر راديكالية. مؤخراً، قال مارك كارني، محافظ بنك إنجلترا السابق: إن وجود عملات احتياطية متعددة سيؤدي إلى زيادة المعروض من الأصول الآمنة (...).

كما يقترح كارني بديلاً: عملة اصطناعية مهيمنة جديدة «Synthetic Hegemonic Currency- SHC» من الأفضل أن يقدمها القطاع العام، ربما من خلال شبكة من العملات الرقمية للبنك المركزي. «يمكن للعملة الاصطناعية المهيمنة في النظام النقدي والمالي الدولي أن تقود لنتائج عالمية أفضل، بالنظر إلى حجم التحديات التي يواجهها النظام النقدي والمالي الدولي الحالي. ومارك كارني من الصعب وصفه بالتقدمي، وهو الذي بنى مكانته عبر العمل في جولدمان ساكس. لكن حقيقة أن وضع لهذه الأفكار الجديدة تكشف إلى أي مدى يجب أن يتحرك التقدميون لاستعادة النظام المالي الدولي، باعتباره ساحة نضالهم هم. بينما بعض اليساريين اليوم في الغرب بأداء التكنولوجيا، وبنائهم محافظي البنوك المركزية للدائنين الخطيرين والمتهورين في كثير من الأحيان! بينما

قد حان الوقت للتتظيم من أجل أن نفهم النظام بشكل أفضل، ونغيره.

خاتمة

إن تغيير النظام المالي الدولي أمر ملح، إن أراد العالم محو الأذى الذي ألحقه النظام الحالي الهائج، القائم على «النمو» الاقتصادي الآسيوي ومراكمة رأس المال عبر الريعية المالية، بالمجتمعات البشرية، كما بالنظام البيئي.

إن التعطل الحالي للنظام الرأسمالي الدولي يضع هذا التحول ضمن نطاق «الإمكانات الراديكالية». ولكن دعونا لا ننسى أنه يمكن حل الأزمة، إما عن طريق الصراع- حيث ستوظف القوة المهيمنة قدرتها العسكرية الهائلة- أو من خلال التغيير العقلاني والتدريجي للنظام.

الأسئلة الكبيرة التي نواجهها هي، أولاً: لماذا لا نجد التقدميين في طليعة هذا النقاش؟ ثانياً: كيف يمكن توسيع التفكير والفهم العام للنظام وعواقبه؟ وثالثاً: كيف يمكن حشد الدعم الشعبي وراء حل تقديمي للآزمات الحالية؟ ربما يمكن لهذه [المبادرة] التقدمية الدولية، من خلال عقد حوار عالمي في هذا المنعطف الحاسم، أن تجيب عن هذه الأسئلة. ربما يمكننا معاً إنهاء اعتمادنا على «ورقة الدولار النقدية الخضراء»، التي هي في النهاية مجرد «ورقة صغيرة مطلية بالكلوروفيل».

* آن بيتيفور هي باحثة اقتصادية بريطانية تركز دراساتها على النظام المالي العالمي، وإعادة هيكلة الديون السيادية، والتنمية المستدامة. المقال كاملاً منشور على موقع حبر.

إن تغيير النظام المالي الدولي أمر ملح إن أراد العالم محو الأذى الذي ألحقه النظام الحالي القائم على «النمو» الاقتصادي الآسيوي ومراكمة رأس المال عبر الريعية المالية

«RIC» تحالف واعد يكبر بلا ضجيج



على دول المحور، وبأن قوات بلاده استطاعت الحفاظ على خطوط الإمداد الأساسية في جبال الهيمالايا، والممر الفارسي. واستنكر جايشانكر أن بلاده لم تلق التقدير والاعتراف اللازم على الرغم من دورها الفاعل لا في الحرب العالمية فقط، بل لما تشكلت من وزن ملحوظ في الاقتصاد العالمي، والذي لم تجر ترجمته على شكل وزن سياسي مواز كمجلس الأمن مثلاً.

الخلافاً موجودة

العلاقات الروسية الهندية التي تعود إلى زمن بعيد، وإن لم تكن هذه العلاقات واضحة المعالم دائماً، إلا أنها تتجسد اليوم عبر شراكات اقتصادية وعسكرية، يجري التركيز بشكل أكبر على صفقة منظومة الدفاع الروسية S-400 إلا أنها ورغم أهميتها إحدى مفردات هذا التعاون، فالشركات الهندية تستثمر في قطاعات الطاقة الروسية، وقد تضاعف حجم الاستثمار هذا بين عامي 2015 و2020، بالإضافة إلى الكثير من المصالح الاقتصادية التي تشكل مجموعة أساساً لعلاقات استراتيجية، وهذا هو حال العلاقات الصينية الروسية التي تعد علاقات مصلحة شديدة التشابك، ولا يمكن فصلها بسهولة، ويجمعها اليوم العمل الدؤوب على إزاحة الدولار والاعتماد على خيارات بديلة، ولكي تزداد سرعة التحولات الجارية لابد للهند من أن تكون مشاركاً فعالاً في هذا التحالف، فيمقدور هذه الدول الثلاث تغيير المعادلة في آسيا بشكل حاسم، وهو ما سيكون له أثر على مستوى العالم كله، فإن كان لدى الهند طموح مشروع بتجسيد وزنها البشري والاقتصادي على الساحة السياسية العالمية سيكون هذا «مهراً» ستسعد روسيا والصين لتلقيه بمقابل أن تكون الهند سنداً في قطع خيوط واشنطن المتبقية في آسيا.

تحدث وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف حول الخلاف الحدودي الجاري، معتبراً أن «بكين ونيودلهي لا تحتاجان إلى مساعدة خارجية لتسوية خلافاتهما» مؤكداً أن بلاده لا تحاول مساعدة الهند والصين لتطوير علاقاتهما الثنائية، بل إنها ترى أنهما يملكان كل الفرص لمعالجة وحل المشاكل فيما بينهما، بالوقت الذي يرى فيه لافروف: «الاستخدام اللاحق لإمكاناتنا وإمكانات دولنا الثلاث، سيستمر في لعب دور مهم في تحقيق الاستقرار في الشؤون العالمية، وسيظل يساعد المجتمع الدولي بأسره في الحل الفعال للعديد من المشاكل الملحة في عصرنا».

في دوره أوضح وانغ يي، عضو مجلس الدولة ووزير الخارجية الصيني، أن على الصين والهند وروسيا «الالتزام بالحفاظ على النظام الدولي، وفي القلب منه الأمم المتحدة، وعليها الحفاظ على النظام الدولي على أساس القوانين الدولية، ودعم التعددية لتعزيز وتحسين الحوكمة العالمية»، وأضاف يي: أن الدول الثلاث تعتبر «دول رئيسية تلزم بالاستقلال الاستراتيجي، وعليها أن تدرك تماماً الوضع العام للتعاون الذي هم شركاء فيه، وأن توفر الفرص لبعضها البعض، وأن تتخذ إجراءات من منظور مساعدة البلدان الثلاثة على تحقيق التنمية وتجديد شباب الأمم وحماية السلام والتنمية على الصعيد العالمي»، وأنه ينبغي حسب تعبيره، معالجة العوامل الحساسة في العلاقات الثنائية والتعامل معها بشكل صحيح.

أما وزير الخارجية الهندي آيس. جايشانكر، فقد استغل الذكرى 75 للقضاء على الفاشية، ليذكر الصين وروسيا بأن 2,3 مليون جندي هندي كانوا سنداً حقيقياً للحلفاء في حربهم

حاسم من البلدين، وإن كان من المتوقع أن ترفض الصين هذه الوساطة، إلا أن موقف الهند الراض كان أكثر وضوحاً، وجاءت تصريحات وزير الدفاع الهندي الذي أعلن رفض بلاده التدخل الأمريكي، مؤكداً أن البلدين قادران على حل خلافاتهما عبر المحادثات الثنائية، مضيفاً: أنه أبلغ نظيره الأمريكي برغبة الهند بحل الخلاف دون وساطة طرف ثالث، ويشكل الموقف الهندي هذا ملمحاً جديداً في سلوك نيودلهي مع واشنطن، التي كانت تستثمر علاقتها مع الهند لمحاولة تكبير الصين، وإيجاد حاضنة للمخططات الأمريكية في آسيا. وعلى الرغم من أنه لا يمكننا القول -إذا ما نظرنا إلى المعطيات كلها- بأن الهند انعطفت في علاقاتها مع الولايات المتحدة، إلا أنها باتت تتأثر بشكل كبير بالتغيرات الجارية في العالم، وإن كانت بعض الدول استطاعت أن تتبعد عن الولايات المتحدة بشكل أسرع، تعاني الهند من تركيبة غير متجانسة في نظامها الحاكم تجعل من حركتها أكثر بطئاً.

ترى موسكو بالتأكيد الخلاف الصيني الهندي، ويشكل بالنسبة لها عامل قلق حتى وإن لم تر فيه خطراً حقيقياً، إلا أن ما تحاول موسكو فعله هو أكبر من لعب دور الوسيط، لا لأنها تملك عصاً سحرية! بل لأنها تعلم النتائج الإيجابية لتقارب الدول الثلاث فيما بينها.

«RIC» ما الذي يجري تداوله؟

حملت التصريحات التي أدلى بها المشاركون في قمة «RIC» (روسيا والهند والصين)، الكثير من الرسائل إلى العالم، فعلى الرغم من التوتر الحدودي إلى أن اللقاء تناول مجموعة واسعة من القضايا، ولا بد لنا من الوقوف قليلاً عند بعض هذه التصريحات قبل الوصول إلى نتائج أولية لهذا اللقاء.

شكلت العلاقة الثلاثية بين الصين وروسيا والهند علامة فارقة، فالدول الثلاث تشكل مزيجاً فريداً ومتكاملاً يمكن اعتباره نموذجياً لبناء علاقات استراتيجية حقيقية، وفي الوقت الذي تحاول الدول العظمى في العالم ووسائل الإعلام «غض البصر» عن اللقاءات الثلاثية التي تجري في الآونة الأخيرة، إلا أن نتائجها لن تبقى في الظل طويلاً.

■ علاء ابو فراج

بعد التصعيد الحدودي الدموي الذي جرى في منطقة جبال الهيمالايا أواسط شهر حزيران الجاري، في نقطة ساخنة على الحدود بين الهند والصين، شهد الأسبوع المنصرم قمة ثلاثية افتراضية جمعت روسيا والصين والهند على مستوى وزراء الخارجية، بدعوة من روسيا الاتحادية، وجرى الجزء الأساسي من هذا الاجتماع بعيداً عن وسائل الإعلام التي يبدو أنها ترغب في تجاهل الحدث أساساً، بمقابل تركيز أكبر على مواضع الخلاف، فكانت حصة الفيديو الذي يصور عراكاً للجنود من الجيشين الصيني والهندي أكبر من حصة اللقاء المهم لهذه الدول المؤثرة، أو الكلمات القليلة المؤثرة التي خرجت من قاعة المؤتمر.

وساطة أم أكثر من ذلك؟

كغيرها من الملفات الدولية الشائكة، يشكل الخلاف الصيني الهندي موضوعاً للاستثمار السياسي، فقد حاول الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في أواخر شهر أيار الماضي عرض خدمات بلاده للعب دور الوسيط بين البلدين، وقال ترامب في تغريدة على موقع «تويتر»: «.. الولايات المتحدة جاهزة ومستعدة وقادرة على القيام بوساطة أو لعب دور الحكم في الخلاف الحدودي المشتعل حالياً بينهما»، إلا أن العرض قابله رفض



**العلاقات
الروسية
الهندية التي
تعود إلى
زمنٍ بعيد
وإن لم تكن
هذه العلاقات
واضحة
المعالم دائماً
تتجسد اليوم
عبر شراكات
اقتصادية
وعسكرية**

الإرث الاشتراكي الصحي «1» ...



وكتيب ومنشور صحي لتوزيعها على الجيش وحده، فضلاً عن حملات التثقيف الصحي بين السكان المدنيين ككل.

في عام 1922، هُزمت الجيوش الإمبريالية التي اعتدت على الدولة الاشتراكية الوليدة، وكان للإجراءات الصحية السوفيتية دور مهم في حفاظ الشعب على الصحة اللازمة للصدور العسكري والمدني. مع نهاية الحرب أطلق شعار صحي جديد: «من النضال ضد الأوبئة إلى الكفاح من أجل ظروف عمل وعيش صحية».

4- الصحة بعد الحرب الأولى

رغم الصعاب، تحسنت الصحة بشكل مطرد خلال سنوات «السياسة الاقتصادية الجديدة» «النيب» في عهد لينين. وبحلول عام 1928، زاد عدد الأطباء عن مستوى ما قبل الحرب من 19785 إلى 63219 طبيب، ورفعت مخصصات الحماية الصحية من 128,5 مليون إلى 660,8 مليون روبل سنوياً، وعدد أسرة المستشفيات من 175000 إلى 225000 ودور حضانة الأطفال من 11000 إلى 256000. ثم تم إحراز تقدم أسرع بكثير في إطار الخطة الخمسية الأولى في عهد ستالين [1928-1932]. يميل كثير من الناس إلى التفكير في الخطط الخمسية كما يتم تصويرها في كتب التاريخ البرجوازية- أي بأنها تتعلق فقط بالإنتاج الصناعي ولا ترتبط أبداً برعاية الشعب. لا شيء أبعد عن الحقيقة من هذا التصور الخاطئ. لقد تعاملت الخطط الخمسية مع جميع جوانب الحياة السوفيتية: الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. لم تُفرض الخطط من فوق بل صممت بناءً على مناقشة واسعة وجمع للبيانات من جانب العمال أنفسهم. من ناحية الصحة، كانت الخطة الخمسية الأولى معنية إلى حد كبير بزيادة توافر الخدمات الطبية والوصول إليها، واستندت إلى تقارير من جميع الهيئات الصحية الإقليمية والمستشفيات والمزارع والمصانع حول ما هو مطلوب، وما يمكن تحقيقه. في السنوات الأربع التي استغرقتها إكمال الخطة الخمسية

وعمل من شأنهما أن يجعل حدوث الأمراض مستحيلاً». وذلك بخلاف الحالة الرأسمالية، حيث تكون مصلحة أولئك الذين يسيطرون على المجتمع هي: انتزاع أكبر قدر من الأرباح من العمال وتزويدهم بأقل ما يمكن من المرافق الاجتماعية والصحية.

3- حرب على طفيليات البدن والمجتمع

بعد فترة وجيزة من ثورة أكتوبر 1917، غرقت روسيا في حرب أهلية طبقية. كانت الأوبئة تنتشر ومعدل الوفيات مرتفع. في حزيران 1918، تم إنشاء مفوضية الصحة الشعبية و«للمرة الأولى في تاريخ الطب، كانت هيئة مركزية تدبر العمل الصحي لأمة بأكملها» «حسب المؤرخ سيجريست». كانت المهمة الأولى: معالجة الأوبئة التي انتشرت بسرعة في جميع أنحاء البلاد والتي أثرت بشكل خطير على القوات المدافعة عن الدولة الاشتراكية الفتية. في المؤتمر السابع للسوفييتات، الذي عقد في كانون الأول 1919، قال لينين «أيها الرفاق، يجب إيلاء كل الاهتمام بهذه المشكلة، إما أن يهزم القمل الاشتراكية أو أن تهزم الاشتراكية القمل». في مواجهة الأحوال الشديدة، ونقص الصابون والملابس، وسوء إمدادات المياه، شرعت مفوضية الصحة العامة بالتنظيم والتخطيط، مركزة على تحسين شبكة المراكز الطبية، والحفاظ على المنازل في ظروف صحية، وتزويد السكان بحمامات ومياه جارية، ومكافحة التيفوس. في نيسان 1919، أصبح التطعيم إلزامياً، وكان تأثيره عميقاً: ففي بتروغراد، انخفض الجدري من 800 حالة في الشهر إلى 7 في الشهر. في هذه الفترة رأى الأطباء الروس القدامى أن الحكومة السوفيتية تدافع عن أبناء الشعب وصحتهم، فانضم أغلب الأطباء للنضال من أجل بقاء الدولة الاشتراكية، بدلاً من الفرار أو الهجرة. لعب التثقيف الصحي دوراً مهماً في المعركة ضد الأوبئة. في عام 1920، حضر 3,8 مليون جندي من الجيش الأحمر محاضرات وندوات حول النظافة والصحة، وفي عامي 1919 و1920، تم نشر 5,5 مليون ملصق

احتلت الصحة العامة والطب أهمية كبيرة في المقارنة بين الأنظمة الاجتماعية الاشتراكية والرأسمالية، نظراً لما أثبتته الرعاية الصحية الاشتراكية من جودة وتفوق على أنظمة الصحة الرأسمالية، على الأقل لفترات طويلة نسبياً، ولا سيما في طور صعود الاشتراكية خلال النصف الأول من القرن العشرين. ولذلك يبدو مفهوماً تماماً مغزى الهجوم الدائم على تاريخ وحقائق الإنجازات الصحية الاشتراكية، ومحاولات تغييبها وتشويهها من جانب الإعلام والتاريخ البرجوازي وخاصة لدى الغرب الإمبريالي وأتباعه.

■ مجموعة مؤرخين وأطباء* إعداد وتحرير: د. أسامة دليقان

1- الطب الروسي قبل الثورة

ورث بناء الاشتراكية السوفيتية نظاماً طبياً بحالة مروعة. لم تكن هناك هيئة طبية مركزية في روسيا لتنسيق الشؤون الصحية، وكانت الغالبية العظمى من السكان تعيش فقراً مدقعاً، مع نقص في الأطباء «في بعض المناطق كان هناك بضعة أطباء فقط لكل أربعين ألف نسمة». ورغم ذلك كان ثمة أساس معين يمكن الانطلاق منه، إذ كان القيصر بطرس الأول قد أنشأ أولى المستشفيات الروسية «في موسكو عام 1706 وسانت بطرسبرغ عام 1715»، باستخدام أطباء من الخارج، وأكاديمية العلوم عام 1724 لتدريب الأطباء الروس. ثم أسست كاثرتين الثانية عدداً من المستشفيات، وأول مصح عقلي روسي عام 1776. لكن البيروقراطية القيصرية كانت خائفة، ونادراً ما أتاحت الرعاية الصحية الاحترافية للفلاحين المالكين، أما العبيد والعمال الصناعيون فتركوا دون أية رعاية صحية. في عام 1884، تم إدخال نظام الحكم المحلي المسمى «زيمتسفو»، وهو مجلس مقاطعة مصمم للتعامل مع المسائل المحلية، بما فيها الصحة. وكان يسيطر على هذه المجالس ملاك الأراضي والبرجوازيون والفلاحون، بثلاث الأصوات لكل طبقة. لكن لم تكن الطبقات المستغلة، التي حصلت على أغلبية الأصوات، مستعدة للمساهمة بطريقة ذات مغزى في تنظيم الصحة العامة، رغم وجود أطباء متحمسين ومدفوعين بالشغف والاهتمام بصحة السكان، منهم مثلاً: الكاتب المسرحي الروسي العظيم أنطون تشيخوف،

وكذلك الطبيب الشهير سيماشكو، الذي سيصبح أول مفوض للصحة في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، ومن الرواد المنظمين لما سيصبح أفضل نظام رعاية صحية في العالم.

2- برنامج البلاشفة الصحي

«كأساس لنشاطه في مجال حماية صحة الشعب، ينظر الحزب الشيوعي الروسي «البلاشفة» في المقام الأول إلى تنفيذ تدابير بناء صحية واسعة النطاق، بهدف الوقاية من الأمراض. وبناءً عليه، تعتبر من مهامه الفورية: أولاً- اتخاذ إجراءات صحية واسعة النطاق بشكل حازم لصالح العمال، مثل: «أ» تحسين الظروف الصحية في الأماكن المأهولة «حماية التربة والمياه والهواء من التلوث». «ب» تنظيم المطاعم العامة على أساس علمي وصحي. «ج» اتخاذ تدابير لمنع تفشي الأمراض المعدية. «د» وضع التشريعات الصحية. ثانياً- مكافحة الأمراض الاجتماعية كالسل والأمراض التناسلية وإدمان الكحول وما إلى ذلك. ثالثاً- توفير الخدمات الطبية والصيدلانية المختصة للجميع مجاناً».

كانت المبادئ الأساسية للنظام الطبي التي طرحها البلاشفة هي: الطب الوقائي الشامل وظروف العمل والمعيشة الصحية والتأمين الاجتماعي والتعليم الصحي. كان اتجاه الطب السوفيتي منذ البداية لإعطاء الأولوية للوقاية قبل العلاج. على حد تعبير ن.أ. فينوجرادوف، الذي كتب في الكتاب السوفيتي «الصحة العامة في الاتحاد السوفيتي»: «لقد تعهدت الدولة السوفيتية ليس فقط بعلاج المرض، ولكن بالوقاية منه؛ إن الدولة مصممة على خلق ظروف معيشية

كان من أهداف
البلاشفة الفورية
«توفير الخدمات
الطبية والصيدلانية
المختصة للجميع
مجاًناً» ووصف
تراجع الأمراض
السارية بأنه
«انخفاض مدهش»

طور الصعود السوفيتي

الأطفال دون ثوب وقبعة معقمين. قد تبدو هذه القواعد مبالغ فيها أحياناً، لكنها جزء من برنامج عظيم، ولا يمكن توقع نتائج بعيدة المدى ما لم تكن هناك قواعد صارمة تنفذ حرفياً».

حدث انخفاض عام في معدلات الأمراض في روسيا السوفيتية، «يجب أن يوصف بالنسبة لأمراض إنتانية وسارية معينة بأنه انخفاض مذهش» حسب وصف مؤلفي الكتاب: تم اجتثاث الكوليرا تماماً ولم تسجل أية حالة منذ العام 1927 [حتى زمن تأليف الكتاب 1933]. الجدري الذي كان بالمعدلات التالية لكل عشرة آلاف نسمة: 5 ثم 6 ثم 30 حالة في أعوام 1912، 1914 و1919 على التوالي، تم تخفيضه بسرعة إلى: 7 ثم 2 ثم 0.6 ثم 0.37 في أعوام 1922، 1924، 1928 و1929 على التوالي. تسبب وباء التيفوس عام 1920-1921 بإصابة 4 ملايين، ولكن خلال السنوات الأربع 1925-1929 انخفض الوسطى السنوي إلى نحو 40 ألف إصابة. وفق الدكتور روباكين: انخفض معدل الأمراض الزهرية بين الجنود من 12,8 لكل ألف جندي عام 1913 إلى 8,02 لكل ألف منهم في الفترة 1924-1927. كما سجلت السنوات الثلاث 1927-1929 انخفاضاً ملحوظاً بحالات السيفلس بأشكاله المختلفة بين عموم السكان.

بعض الأمراض الإنتانية بالمقابل كانت ما تزال مشكلة في الفترة التي درسها الكتاب: حيث ارتفعت الحمى التيفية قليلاً من معدل 10 حالات إلى 10,5 حالة «لكل عشرة آلاف من السكان» بين عامي 1927 و1929 على التوالي. وكذلك ارتفعت الحمى القرمزية والدفتيريا بين العامين المذكورين. بالنسبة لإصابات السل كان توثيقها ضعيفاً جداً في روسيا القيصرية، مما يفسر، حسب السلطات السوفيتية، الارتفاع الملحوظ لمعدل الإصابات السلية المؤكدة من 73,1 إلى 116,5 «لكل عشرة آلاف نسمة» بين عامي 1913 و1929 على التوالي. زار مؤلف الكتاب «المعهد المركزي للسل» في موسكو، حيث أوجز لهما الدكتور نيسلين تنظيم العمل في تشخيص السل وعلاجه والوقاية منه. وترتبط هذه المؤسسة بشبكة من «مستوصفات السل» وبعدد أكبر بكثير من العيادات الاستشارية [ص31]. وحسب مصادر محاضرة كارلوس رول والتي سجلت تطورات لاحقة «انخفض معدل الإصابة بالسل 83 % تحت الحكم السوفيتي حتى عام 1938 واستمر في الانخفاض. وانخفضت الأمراض الزهرية بنسبة 90% بحلول عام 1938 واستمرت في الانخفاض» [م1].

■ * المراجع: محاضرة الباحث الماركسي- اللينيني كارلوس رول، عن النظام الصحي السوفيتي في أول عقدين بعد ثورة أكتوبر، والتي ألقاها عام 2000 أمام «جمعية ستالين» البريطانية «مقرها بريستول» ونشرت على موقع الجمعية عام 2017. وكتاب «الطب الأحمر، الصحة الاشتراكية في روسيا السوفيتية» الصادر في لندن 1933 لمؤلفيه: الطبيب البريطاني السير آرثر نيوزهولم «الذي كان الضابط الطبي الأول لهيئة الحكم المحلي في إنكلترا وويلز»، والدكتور الأمريكي في القانون والناشط الخيري في نيويورك، جون آدمز كينغسبيري. وقد وثقا في الكتاب مشاهداتهما الميدانية من عدد كبير من المقاطع من محاضرة رول ب [م1]. ومن كتاب «الطب الأحمر» برقم الصفحة.



الأمهات غير العاملات أيضاً. كل منطقة فرعية تخدمها المؤسسة لديها مندوب خاص من الطاقم الطبي يقوم بزيارات إلى منازل الناس لرؤية المرضى. خلال الاستشارات الطبية في المؤسسة، لا يُسمح للطبيب بأن يُعاين أكثر من 12 مريض في ساعتين. يحضر الأطفال هنا على الأقل حتى سن الرابعة. يبدأ الالتحاق بالمدرسة في سن السابعة. يتم الاحتفاظ بسجل صحي مستمر لكل طفل متاح للرجوع إليه. يتم توفير الحليب وأنواعه المعدلة للأطفال المحتاجين إليه، ويجلب من المزارع الجماعية ويخضع للبسترة».

«في تفليس قمنا بزيارة حضانة ملحقة بمصنع حرير يعمل على نوبتين، لذلك تفتتح حضانتها كل يوم حتى العاشرة مساءً. وتستقبل حوالي ثمانين طفل في كل ورديّة عمل. هناك غرف مستقلة لكل من الرضع، والأطفال الصغار جداً، وبسن الحبو، والكبر سنّاً. يتم قياس وزن كل طفل مرة كل أسبوعين، ويحضر الطبيب مرتين في اليوم صباحاً ومساءً. مديرة الحضانة حاصلة على تدريب طبي. يتم تدريب كل طفل على المساعدة الذاتية والتحكم في النفس فيما يتعلق بالغسيل والوظائف الطبيعية. قلما تحدث إلتانات متصالبة أو التهابات عينية. تستخدم جميع الأمهات تقريباً في المصنع هذه الحضانة، باستثناء قلة لديهم مثلاً أحد الأقرباء في المنزل ليعتني بطفلها». [ص 168-170].

6- الوقاية السوفيتية ومكافحة الأوبئة

من الأمثلة المثيرة للاهتمام عن التدابير الوقائية السوفيتية بالجملة، أن جميع سكان قازان تم تطعيمهم أو إعادة تطعيمهم في حزيران عام 1932 بعد اكتشاف 15 حالة من مرض الجدري في الشتاء السابق. وكذلك اختفى التيفوس من هذه المدينة بفضل إجراءات جماعية مماثلة. يصف الكاتب سيجيرست Sigerist بعض تجاربه في عام 1936: «لا يُسمح لأي زائر بدخول مصانع الأغذية أو المؤسسات الطبية أو حضانات

مبادئ وأهداف رئيسية: 1- أن الحماية تمنح بالكامل من الدولة. 2- أنه لا توجد «صدقات خيرية» مهما كانت. 3- أن الهدف الرئيس هو تمكين المرأة العاملة، عبر الحضانات وما إلى ذلك، من مواصلة عملها في المصنع. وفي مجال التوليد والقبالة، فإن لدى الاتحاد السوفيتي تنظيماً وإجراءات علاجية مؤسساتية أكثر كمالاً من أية دولة أخرى» [ص293].

كتب المؤلفان: أن الدكتور جينس أخبرهما [ص168] بأن: «زائراً فرنسياً أعجب بالنقطة الثانية وقال: وهكذا تأتي المرأة العاملة لا لكي تستجدي المساعدة بل لتطلبها! وأخبرنا الدكتور جينس أنه لم يكن هناك سوى 14 دار حضانة قبل عام 1914. أما الآن فهناك 2000 حضانة بين مؤقتة وموسمية ودائمة فيها 1.750.000 طفل. كما لم تكن هناك أية حضانات في القرى، ولكن مع تطور التجميع الزراعي، تتم الآن رعاية 50.000 طفل في دور الحضانة القروية. وارتفع عدد الأطفال في دور الحضانة الموسمية من 600 ألف عام 1913 إلى مليون عام 1931 ثم ثلاثة ملايين عام 1932». [يجدر بالذكر أن عدد سكان الاتحاد السوفيتي زمن تأليف كتاب «الطب الأحمر» عام 1933 كان حوالي 168 مليون نسمة].

«في مؤسسة حماية الأمومة والطفولة في لينينغراد، الذي تم تنظيمها بشكل رائع، وجدنا مؤسسة كاملة تضم كل مراحل عمل الأمومة وصحة الطفل. ظهرت لنا أولاً: الحضانة التي يتم فيها إبقاء الأطفال أثناء عمل أمهاتهم. يتم قبول الأطفال اعتباراً من عمر شهرين، عندما تنتهي إجازة الأمومة الإلزامية. مع اتخاذ ترتيبات للنظافة والوقاية من العدوى. لا يتم قبول الأطفال المرضى، وهناك مقصورات عزل خاصة للحالات المشكوك فيها. الأطباء في بقية المؤسسة في حضور منتظم. هناك حضانات مماثلة في جميع مقاطعات لينينغراد الثمان. تجلب جميع الأمهات العاملات أطفالهن إلى الحضانة، رغم عدم وجود إكراه في ذلك، بل تشجيع، لأن مدفوعات التأمين للأمهات تبدو أنها تتعلق بحضور الأمهات إلى المؤسسة. تستقبل الحضانات أطفال

الأولى، زاد عدد الأطباء من 63000 إلى 76000، وزاد عدد أسرة المستشفيات أكثر من 50% وزاد عدد دور الحضانة من 256000 إلى 5.750.000 [أي أكثر من 22 ضعفاً]. تم إنشاء 14 كلية طب جديدة، إلى جانب 133 مدرسة طب ثانوية.

حتى ذلك الوقت كانت المرافق الطبية متاحة لجميع المواطنين السوفيتية، وبالتالي، انتقلت الخطة الخمسية الثانية [1933-1937] للاهتمام أكثر بتحسين الجودة النوعية للرعاية الصحية. كانت إحدى المهام الرئيسية هي تحسين التعليم الطبي ومستوى الأطباء. تم إنشاء معاهد بحث طبي وعلمي جديدة، من بينها: المعهد الضخم للطب التجريبي، بمبادرة من ستالين ومولوتوف وفوروشيلوف وغوركي. استمر التثقيف الصحي بين العمال والفلاحين في تشكيل جزء مركزي من المعركة لتحسين الصحة. في زيارتها للاتحاد السوفيتي عام 1951 قدمت عالمة الحيوان البريطانية الكبيرة سيدني مانتون وصفاً للتثقيف الصحي الواسع الانتشار في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، في كتابها «الاتحاد السوفيتي اليوم». وأشارت إلى أن: «جميع الأطباء على علمهم تخصص 8 ساعات من وقتهم كل أقل من كل شهر لتدريس الطب الوقائي والإجابة عن أسئلة الجمهور في أماكن، مثل: الحدائق وقاعات المحاضرات والمراكز الصحية، تم التثقيف بأسس الطب الوقائي والنظافة والرعاية الصحية الأساسية بشكل شامل في المدارس؛ يمكن العثور على الملصقات والنشرات في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي».

5- رعاية الطفولة والأمومة

ارتفع عدد مراكز رعاية الطفولة والأمومة من 9 في روسيا القيصرية إلى 4384 مركز عام 1938 أنجزت مع اكتمال الخطة الخمسية الثانية [م1].

وفي كتابهما «الطب الأحمر» ذكر مؤلفاه البريطاني والأمريكي: «أوضح لنا الدكتور جينس، مساعد مدير معهد حماية الأمومة والطفولة، في موسكو، أنه تم وضع ثلاثة

بحلول 1932

تضاعفت

دور الحضانة

السوفيتية 22

ضعفاً خلال 4

سنوات فقط

فبلغت 5,75 مليوناً

مع أفضل رعاية

للطفولة والأمومة

في العالم

درجة جديدة من حدة التناقضات الأوروبية الأمريكية



مع استمرار الولايات المتحدة الأمريكية بالانسحاب من المعاهدات والالتزامات الدولية واحدة تلو الأخرى، مؤكدة بذلك أنها تلتزم بالقانون والاتفاقات الدولية بشرط ألا تتناقض مع توجهاتها الدولية، وأنها مستعدة لفرض مصالحها بالقوة على الجميع، بمن فيهم حلفائها التاريخيين، لذلك تجد أوروبا نفسها مجبرة على تغيير نهجها واستراتيجيتها دفاعاً عن مصالحها وفق المعطيات الجديدة.

■ يزن بوظو

لقد قالت المستشارة الأمريكية أنجيلا ميركل: «نشأنا مع معرفة معينة أن الولايات المتحدة تريد أن تكون قوة عالمية... لو تريد الولايات المتحدة الآن وقف أداء هذا الدور بارادتها الخاصة بها، فيجب علينا التفكير في هذا الموضوع بشكل عميق»

الابتزاز عبر «الناتو».. والبديل عنه؟

إذا ما كانت علاقة الأمريكيين والأوروبيين في «الناتو» قد بُنيت على مصلحة عسكرية مشتركة تفرضها المصلحة السياسية، وموازين القوى في النصف الثاني من القرن الماضي، فإن الحلف حالياً يكف واشتد أكثر من الفائدة المرجوة منه، لذلك باتت الأخيرة تستخدم لابتزاز الأوروبيين وكوسيلة لـ «جباية» الدولارات من أعضاء الحلف. ويذكر الرئيس الأمريكي بشكل دوري: أنه لن يكون متمسكاً بالدفاع عن مصالح أوروبا إن لم تستطع الدول الأوروبية تحمل تكاليف تسليح التحالف، ويدفع الموقف الأمريكي هذا الأوروبيين للتفكير بمنظومة أمنية أخرى، وإن كان شكل وطبيعة هذه المنظومة لا يزال قيد البحث، إلا إن ألمانيا وفرنسا تحدثتا حولها في عدة مناسبات.

أما مؤخراً، ففي تعليق على إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن تقليص عدد القوات العسكرية في ألمانيا عبر سحب نحو 9,500 جندي أمريكي، اعتبرت ميركل بأن التواجد العسكري الأمريكي في أوروبا هو استجابة لمصالح واشتد نفسها، قائلة: «القوات الأمريكية في الأراضي الألمانية لا تسهم في حماية ألمانيا

والجزء الأوروبي للناتو فحسب، وإنما كذلك مصالح الولايات المتحدة بعينها» وفي لقاء افتراضي جمع بين الرئيسين الروسي والفرنسي، قال فلاديمير بوتين: إنه ينبغي «توحيد الجهود في سبيل مواجهة التحديات والتهديدات المشتركة... ويجب علينا توحيد المساعي إذا رغبتنا في تحقيق نتائج إيجابية»، ورد الرئيس الفرنسي عن قناعته بأن الأزمة التي يمر بها العالم حالياً والأزمات الإقليمية المختلفة تظهر أهمية إنشاء مجال أوروبي يمتد من لشبونة في أقصى الغرب الأوروبي إلى فلاديفوستوك الواقعة في أقصى الشرق الروسي، وهو كتعبير رغم المبالغة فيه، إنما يشير إلى جدية التقارب الجاري بين أوروبا وروسيا، وأكد ماكرون فيما بعد أنه سيسافر إلى موسكو لبحث عدد من الملفات منها: «الأمن الأوروبي» و«الصراعات الإقليمية».

إعاققة نمو الاقتصاد الأوروبي

من المستحبات الأخيرة، أن الولايات المتحدة تدرس فرض رسوم جمركية على صادرات بقيمة 3,1 مليار دولار من المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا وإسبانيا، بسبب خلاف جارٍ حول مصنعي الطائرات، بين «إيرباص» الأوروبية و«بوينغ» الأمريكية، ويعود هذا الخلاف إلى العام الماضي بعد أن قامت واشنطن في حينه بفرض رسوم على جملة من السلع الصادرة عن الاتحاد الأوروبي بقيمة 7,5 مليار دولار، شملت فيها الطائرات، بذريعة الرد على دعم غير قانوني بمليارات الدولارات قُدم لصالح «إيرباص». وبالمقابل، أعلنت منظمة التجارة العالمية بأنها تدرس منح الاتحاد الأوروبي حقوقاً مماثلة لفرض رسوم

على السلع الأمريكية إثر الدعم الذي حصلت عليه «بوينغ» معتبرة إياه غير مشروع.

لكن هذه المعركة لا تعود إلى إيرباص أو بوينغ بعينهما، وإنما إلى مجمل الاختلاف بالمصالح والاستراتيجيات الأوروبية والأمريكية، حيث فرض الرسوم على السلع الأوروبية لا يعتبر «عقوبة» مؤقتة بقدر ما هو الخطوات الأولية الجديدة نحو إعاقه نمو الاقتصاد الأوروبي بالحد الأدنى، وخنقه بالحد الأعلى.

تناقض تزداد حدته

إن هذا التناقض بين أوروبا والولايات المتحدة قد تجاوز وصف «الخلافات» وبات يقترب من التنافس والصراع المباشر، وفقاً للمصالح المستقلة لكلا الطرفين في العالم الجديد. وفي حين يمضي الأوروبيون بشكل موضوعي إثر تطورات الوضع الدولي إلى التقارب مع روسيا لا «حليف» على الهيئة الأوروبية- الأمريكية، وإنما «صديق» باستطاعته أن يوفر دعماً اقتصادياً وسياسياً دون «هيمنة» في مواجهة الابتزاز والتخريب الأمريكي، يسعى الأخير إلى إعاقه وكبح هذا التقارب ما أمكن وكيفما تمكّن لمنع التطور الأوروبي من جهة، ومنع المد الجيوسياسي الروسي في أوروبا من جهة أخرى.

صرحت ميركل حول ضرورة أن يواصل الاتحاد الأوروبي الحوار مع روسيا، معتبرة أن «هناك أسباباً جيدة لمواصلة الحوار البناء مع روسيا»

وضمن العلاقة الألمانية الروسية أيضاً، فقد شارف مشروع بناء خطوط نقل الغاز الطبيعي المسال «الريل الشمالي 2» بين الدولتين على الانتهاء، رغم كل جهد العقوبات والإعاقات الأمريكية لهذا المشروع، ليجدد الأمريكيون تهديدهم، حيث عرضت مجموعة سيناتوروات في مطلع هذا الشهر مبادرة لتوسيع العقوبات ضد المشروع بين روسيا وألمانيا، وتستهدف هذه العقوبات الجديدة شركات التأمين التي تعمل مع السفن الروسية على تنفيذ خط

الغاز، معتبرين على لسان السيناتور الجمهوري تيد كروز بأن المشروع يشكل «تهديداً حيوياً بالنسبة إلى الأمن القومي الأمريكي». فهو فضلاً عن كونه منافساً قوياً لإيراد الغاز الأمريكي إلى أوروبا، يفتح آفاقاً أخرى لها بمجرد بدء العمل به، كارتباط اقتصادي مباشر ستنتج عنه بطبيعة الحال ارتباطات سياسية أعمق بغير المصلحة الأمريكية.

وقالت وكالة «بلومبرغ» بأن الحكومة الألمانية تدرس حزمة إجراءات جوابية في حال فرضت واشنطن هذه العقوبات الجديدة، وأن المستشارة الألمانية تنظر في تمرير الإجراءات عبر التنسيق مع الاتحاد الأوروبي.

باتت ملامح الصراع الأوروبي الأمريكي أكثر وضوحاً، فتناقض المصالح بات يشكل محركاً للصراع، ففي مقال نشر في موقع «اكسبرت أونلاين» يقول كاتبه سيرغي مانوكوف:

«لا تريد واشنطن من بقية العالم فرض ضرائب على أرباح احتكار عملاقة تكنولوجيا المعلومات الأمريكيين، ويريد الألمان، في نهاية المطاف، استكمال بناء خط أنابيب الغاز السيل الشمالي 2، وتحمي بروكسل صناعة السيارات الأوروبية من المنافسين، ولكنها سرعان ما تفقد أعصابها عندما يهدد الرئيس ترامب بفعل الشيء نفسه للسيارات الأوروبية... وهذا ليس كل شيء، بل هي التناقضات الأكثر شهرة بين الولايات المتحدة وأوروبا، ما ينشي بالسير السريع نحو صراع تجاري بينهما».

لا شك أن واشنطن تدرك أن الحرب التجارية مع أوروبا لن ينتج عنها إلا مزيد من التقارب الأوروبي- الروسي، والأوروبي- الصيني، لكن حجم الأزمة الأمريكية لا يترك الكثير من الخيارات لواشنطن، ويبدو أنها تدرك أن هذا التقارب قادم لا محالة، ولكن يمكنها عبر العقوبات وإعلان الحروب التجارية أن تخلق الأوراق، وتعيق هذا التقارب، أملاً منها بمعجزة تغيير مجريات الأمور!

لا شك أن

واشنطن تحرك

أن الحرب التجارية

مع أوروبا لن

ينتج عنها إلا

مزيد من التقارب

مع روسيا

والصين لكن

حجم الأزمة

الأمريكية لا

يترك الكثير من

الخيارات

الصورة عالمياً

ليبيا... ملامح محاولة روسية جديدة



بعد وصول حدة الأزمة الليبية إلى ذروة جديدة - مؤخرًا - تهدد بصادم مصري - تركي، بدأ التصعيد يخبؤ في مقابل تسارع عودة النشاط السياسي باتجاه حل الملف عبر الحوار والتسوية بين الأطراف المتنازعة.

■ ملاذ سعد

بعد أن أعلن الرئيس المصري خلال الأسبوع الماضي بأن مدينة «سرت» تعتبر خطأ أحمر بالنسبة للقاهرة، أعربت وزارة الدفاع التابعة لحكومة الوفاق الوطني الليبي عن عزمها على مواصلة التقدم نحو مدينة سرت رغم هذا التحذير، حيث قال وكيل وزارة الدفاع صلاح الدين النمرش في 24 من الشهر الجاري بأنه «ليست هناك أية خطوط حمراء أمام تقدم قواتنا نحو سرت» ليكون هذا التصريح هو ذروة التصعيد العسكري والسياسي قبل المضي بالاتجاه الآخر. ففي اليوم التالي، نقلت وكالة أنباء «نونا» نقلاً عن وزير الخارجية الإيطالي لويجي دي مايو تصريحاً له بعد عودته من زيارة إلى طرابلس في ليبيا، بتعبيره عن القلق «من أن عمليات تحرير سرت ستؤدي إلى مزيد من الاقتتال» داعياً إلى «ضرورة تجميد الصراع الذي سيؤدي إلى انقسام لا تقبل به إيطاليا» وبنفس اليوم قال المتحدث باسم الرئاسة التركية إبراهيم قالن، بأن حكومة الوفاق الليبية تشترط «انسحاب قوات حفتر من سرت

والجفرة» قبل التوصل إلى وقف لإطلاق النار، بتغيير ملحوظ عن اللهجة السابقة المؤكدة على نية وعزم جيش الوفاق على الدخول إلى المدينة. ثم طالبت كل من برلين وباريس وروما - عبر بيان مشترك - جميع الأطراف الليبية على وقف فوري وغير مشروط لإطلاق النار في ليبيا، وجاء في بيانهم «نشجع على اختتام سريع للمفاوضات بين المعسكرين الليبيين تحت رعاية الأمم المتحدة بالتوقيع على اتفاقية وقف إطلاق نار دائمة... ذلك يعد عنصراً أساسياً في تهيئة الظروف اللازمة لاستئناف الحوار السياسي الليبي بشكل فعال مما سيسمح بحل دائم للنزاع» وقال مفوض مجلس السلم والأمن للاتحاد الأفريقي، بأن الجميع يدرك أن الصراع الليبي لن ينتهي بحل عسكري، مشدداً على أن «الأولوية حالياً هي التأكيد على إيقاف القتال والتدخلات الخارجية، وإقناع كل الأطراف في ليبيا بالعودة إلى العملية السياسية» جاء في بيان وزارة الخارجية الليبية عن اجتماع المبعوث الرئاسي الخاص إلى منطقة الشرق الأوسط

ودول إفريقيا، ميخائيل بوغدانوف، مع السفير التركي لدى روسيا، محمد صاصمار حول الوضع الليبي، بأن التركيز هو «على ضرورة الوقف السريع لتصاعد العنف، وعدم وجود بديل للحل السياسي للأزمة الليبية وفقاً لقرارات مؤتمر برلين الدولي وقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2510». وصولاً إلى يوم السبت الـ 27 من هذا الشهر، حيث قالت حكومة الوفاق الوطني الليبي نفسها في بيان نشرته بعد لقاء جمع فيما بين رئيسها فايز السراج ورئيس وزراء إيطاليا جوزيبي كونتي، بأن الجانبين أكدا خلال اللقاء، بأن حل الأزمة الليبية لا يمكن أن يكون عسكرياً، وأن على الجميع العمل من خلال مسار سياسي يحقق الاستقرار وفقاً لقرار مجلس الأمن ومخرجات مؤتمر برلين. في حين أكد نائب رئيس مجلس النواب الليبي أحمد حومة، أن المجلس تلقى دعوة من روسيا لترتيب زيارة لوفد برلماني برئاسة رئيس المجلس عقيلة صالح إلى موسكو خلال الأيام المقبلة، بغاية الدفع إلى وقف إطلاق النار والعودة إلى العملية السياسية.

روسيا تحاول من جديد

على الرغم من أن المحاولة الروسية الأبرز في ملف الأزمة الليبية والتي كانت عبر دعوة الأطراف المتنازعة إلى ما عرف باسم لقاء موسكو، لم تحقق الأهداف المرجوة منها، إلا أن موسكو تسعى بشكل نشط للإمساك بملف الحل من جديد، ولأن روسيا تدرك أن عدم نجاح لقاء موسكو الماضي كان بسبب التعنت الواضح من جانب المشير خليفة حفتر، والذي رفض التوقيع على مخرجات هذا اللقاء، تحاول اليوم جمع الأطراف التي تظهر استعداداً للعمل الفاعل باتجاه الحل، بغض النظر عن الخلافات فيما بينها، وإن كان النجاح العسكري الذي يحققه السراج لم يمنعه بعد من القبول بالحل السلمي فهذا يعني: أن الوقت لا زال يسمح بتحقيق اختراق ما، وإن كان محفوفاً بالمخاطر، إلا أنه إمكانية واقعية، والاتصالات المكثفة التي تجريها موسكو لا مع الأطراف الليبية فحسب، بل مع تركيا ومصر والدول الأوروبية، يعطيها إمكانية للعب هذا الدور، ولدفع الأمور لمحاولة جديدة بشروط أفضل مع أطراف أقل تعنتاً.

• قال المدير العام لمنظمة الصحة العالمية: إن جائحة فيروس «كورونا» تنحسر في أوروبا، لكنها تزداد سوءاً على مستوى العالم. وأوضح أنه من المتوقع أن يصل عدد حالات الإصابة بالفيروس إلى 10 ملايين الأسبوع المقبل.

• أكد سيرغي ريباكوف، نائب وزير الخارجية الروسي، اهتمام موسكو بمقترح الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، عقد قمة موسعة لدول «G7» بمشاركة روسيا وأستراليا والهند وكوريا الجنوبية.

• قالت طهران: إنها حصلت على الضمانات المالية الكافية مقابل ثمن الوقود الذي أرسلته إلى فنزويلا، وإنها حصلت على جزء من عائدات البنزين، على الرغم من العقوبات الأمريكية على القطاع المالي.

• ارتفعت أرباح الشركات الصناعية الصينية في مايو للمرة الأولى خلال ستة أشهر، ما يشير إلى أن التعافي الاقتصادي يكتسب قوة دفع، ويحسن توقعات الاستثمار والوظائف في القطاع.

• أعلن وزير الدفاع الياباني تارو كونو، أن الحصول على أسلحة تسمح لليابان بضرب قواعد صواريخ العدو هو خيار سندرسة طوكيو كوسيلة لتعزير دفاعاتها الصاروخية.

• قال صندوق النقد الدولي إن الضرر الذي تلحقه جائحة فيروس كورونا بالنشاط الاقتصادي أوسع وأعمق من التكهّنات السابقة، مما حدا بالمؤسسة إلى تقليص توقعاتها للناتج العالمي في 2020 مجدداً.

لا يملك الأوروبيون ترف عدم



وتعتقد هذه المفاوضات على خلفية اعتماد الولايات المتحدة على حلفائها الغربيين للاستمرار في الضغط على الحكومة الصينية. ولكن رؤية الاتحاد الأوروبي تختلف عن الأمريكيين في عدد من القضايا، ومنها ما يخص قانون الأمن القومي القادم لهونغ كونغ. وضمن تشديد الاتحاد الأوروبي على مبادئ الواقعية السياسية، ومحاولته الواضحة التأكيد على خصوصيته. وهذه الخصوصية قد تؤدي إلى تفتين العلاقات مع الصين لتشكل مساراً مختلفاً عن الأمريكيين.

لا يمكن للنظرة البراغماتية للعلاقات الصينية-الأوروبية من منظور صانعي السياسات الأوروبيين أن تتغير بفعل جهود الضغط الذي يمارسها سياسيون أمثال وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو. فالإتحاد الأوروبي يحتاج الصين بذات القدر الذي تحتاجه فيها الصين، وضمن هذا التعاون يمكن معالجة عدد من القضايا العالمية، مثل: إصلاح منظمة التجارة العالمية والتعاون في المسائل الإفريقية. وهو ما نجده مذكوراً في نشرات مجلس أوروبا.

إن العلاقات الأوروبية-الصينية والاتفاقات المتوقعة قادرة على ضخ زخم جديد في التعافي الاقتصادي الأوروبي في فترة ما بعد الوباء. ففي عام 2019 كان الإتحاد الأوروبي هو أكبر شريك تجاري للصين، بينما كانت الصين ثاني أكبر شريك تجاري للاتحاد الأوروبي. بلغت قيمة البضائع المتبادلة أكثر من 1.5 مليار يورو يومياً.

لطالما كانت الشركات الأوروبية منجبة للسوق الصينية بفضل حجمها الكبير وإمكانات نموها الهائلة. حتى أثناء أسوأ مراحل انتشار كوفيد-19 في الصين في شهر شباط، كانت هناك قرابة 50% من الشركات الأوروبية العاملة في الصين والبالغ عددها 1700 شركة، متفائلة بنسب النمو خلال العامين القادمين وفقاً لاستطلاع غرفة التجارة الأوروبية.

هناك، كما أنها ستفتتح متاجر لها في المدن ذات التصنيف الثالث والرابع للاستفادة من الأسواق الناشئة والمحتملة.

وقد صرحت غرفة التجارة الأوروبية بأنها تأمل أن تتوصل الحكومات الأوروبية مع الصين إلى حلول لانقطاع سلاسل التوريد. ووفقاً للاستطلاع، فإن 49% من الشركات الأعضاء في الغرفة اعتبروا أن العمل في الصين أصبح أكثر صعوبة العام الماضي، بانخفاض 4.0 نقطة عن عام 2019. صرحت تشارلوت رول، نائبة رئيس غرفة التجارة الأوروبية بأنها تأمل أن تؤدي اتفاقية الاستثمار الشامل الأوروبية الصينية إلى تجنب تشويه المنافسة بين الشركات الأوروبية والصينية وأن تفتح الصين أسواقها أمامهم أكثر.

ولا يمكن إنكار خشية الشركات الأوروبية من المنافسة الشديدة التي تحملها معها الشركات الصينية، والتي يرجعها الأوروبيون لكونها تتلقى دعماً من الدولة الصينية، بينما يعتبر الصينيون أن إخفاق الشركات الأوروبية في المنافسة يدفعها للتزعم بمسألة المنافسة غير الشرعية. وهو ما أكد عليه كوي هونغ جيان مدير قسم الدراسات الأوروبية في جامعة الصين للدراسات الدولية: «تتماشى وتيرة الانفتاح الصيني مع سرعة الإتحاد الأوروبي بالنظر إلى المراحل المختلفة للتطور. والادعاءات بوجود وصول غير عادل للأسواق لا أساس له من الصحة».

البراغماتية الأوروبية ضد أمريكا

يتفاوض الإتحاد الأوروبي مع الصين على اتفاقية الاستثمار الشاملة منذ تشرين الثاني 2013. وكما قال وانغ يوي، مدير مؤسسة الشؤون الدولية في جامعة رينمين: «بما أن ألمانيا تسلم قيادة الإتحاد الأوروبي وستتولى الرئاسة الدورية ما بين تموز ونهاية شهر كانون الأول، فمن الهام بالنسبة للمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل أن تنهي الاتفاق قبل كانون الأول، فهذا الاتفاق قد يحفظ لها إرثها السياسي».

تسريع المفاوضات للتوصل لاتفاق الاستثمار التجاري بين الإتحاد الأوروبي والصين هو الرسالة الأهم من اجتماع الصين-أوروبا الذي عقد في 22 حزيران 2020 عبر الفيديو. كما أنه حاسم في سياق العلاقات الأوروبية-الصينية. سيكون التعاون الصيني اتجاه متنامياً، وستقرر بمصالح الأطراف الأساسية. اعتمدت الصين الانفتاح الشامل على أوروبا كسياسة وطنية، والأوروبيين ليسوا مولعين بالهيمنة على العالم كما هي حال الولايات المتحدة. يوضح هذا عدم وجود تضارب في المصالح بين الأوروبيين والصين، وعدم وجود الكثير من العقبات الاستراتيجية أمام تعاونهم.



**يريد الإتحاد الأوروبي
أن يشارك بشكل
فاعك وأكبر في
تشكيل عالم
المستقبل، وأن
يظهر استقلاله
عن كل من الصين
والولايات المتحدة**

ستتعامل الولايات المتحدة مع أوروبا، لكن الصين تسعى بجد لإقامة علاقة متبادلة مع أوروبا لا تكون نسخاً لأي قالب جاهز، ويقللها الجانبان.

الشركات الأوروبية تبقى في الصين

ليس هناك دلائل على الانفصال بين الصين وأوروبا، حيث تبقى الصين سوقاً هامة للشركات الأوروبية في حقبة ما بعد كورونا. والقليل من الشركات الأوروبية تخطط لنقل استثماراتها إلى أسواق أخرى. فكما صرح ممثل غرفة تجارة الإتحاد الأوروبي في الصين في 10 حزيران: «شهدنا في نيسان وأيار اتجاه إيجابياً جداً للشركات الأوروبية في السوق الصينية، وتحديداً في مجال البضائع الترفيحية وغيرها من مجالات الأعمال بالفرق. كانت المبيعات في أيار أفضل منها في العام الفائت... نتوقع أن نشهد روابط اقتصادية أقوى».

ووفقاً لاستطلاع «ثقة الأعمال الأوروبية في الأعمال الصينية» لعام 2020، فإن 11% من الشركات الأوروبية فقط، تأخذ في اعتبارها نقل استثماراتها من الصين إلى أسواق أخرى في 2020، وذلك مقارنة مع 15% في العام الفائت. أعلنت 40% من الشركات بأن بيئة البحث والتطوير «R&D» في الصين تتطور لتصبح أفضل من المتوسط العالمي. صرح تشاش ينغ، مدير فرع شركة «Vorwerk» الألمانية في الصين، بأنهم يستفيدون من تطور معدلات الاستهلاك في الصين. وستعمل الشركة على الاستثمار بشكل أكبر

■ غلوبك تايمز

تعريب وإعداد: عمرو درويش

تقوية الروابط الصينية/الأوروبية

إن العالم يتغير، ووباء كوفيد-19 جلب له الكثير من الزعزعة، الأمر الذي لم يعد يتيح للأوروبيين أن يبقوا على الحياد السلبي بين الصين والولايات المتحدة. يريد الإتحاد الأوروبي أن يشارك بشكل فاعك وأكبر في تشكيل عالم المستقبل، وأن يظهر استقلاله عن كل من الصين والولايات المتحدة. قد ينعكس هذا في الوجه الحقيقي للعالم متعدد الأقطاب، فالعلاقات الدولية تصبح أكثر تعقيداً.

نقاط الالتقاء والافتراق بين الإتحاد الأوروبي والصين تتوضح بشكل متزايد. ويفتح هذا الباب واسعاً لعلاقتهم إن استطاعا تعزيز تعاونهما في الاقتصادات الخضراء والرقمية، وإن تمكنوا من التنسيق فيما بينهما بخصوص التغير المناخي وأبحاث اللقاحات والتنمية وإصلاح منظمة التجارة العالمية.

ليست الولايات المتحدة قادرة على جعل الإتحاد الأوروبي حليفاً لها ضد الصين كما فعلت من قبل أثناء الحرب الباردة ضد السوفييت. وكذلك لا يمكن للصين أن تكسر العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة وأوروبا من موقع تشكيل جبهة موحدة ضد الولايات المتحدة. ففي الوقت الذي تتعمق فيه التناقضات بين الولايات المتحدة والصين، ستستنح الفرصة لأوروبا كي تعبر عن مطالبها أكثر. ليس من الواضح كيف

الانفتاح والتعاون مع الصين

للضغط على أية دولة منذ عقود. لكن الأهم: أنها تعرض على شركات الدول التي تجمعها بها علاقات جيدة أسواقاً هائلة، الأمر الذي لا يمكن لأحد تجاهله.

ثانياً: اعتمدت الصين استراتيجية «الضربة الاقتصادية الوقائية» من خلال سياسة مشاركة الثروة. إن إطلاق مشروع الحزام والطريق المفتوحة لجميع الراغبين جزء من هذه السياسة، والصين تستثمر وتستثمر بالاستثمار بشكل كبير في البنية التحتية والطاقة والصناعة في جميع بلدان العالم الراغبة.

بينما على العكس من ذلك، تتعمق الخلافات مؤخراً بين الأوروبيين والولايات المتحدة، ويمكننا الاستدلال على ذلك بشكل رئيسي بالتناقضات الأمريكية الألمانية. فبتعباً لموقع ألمانيا في أوروبا والاتحاد الأوروبي، يعبر ما يحدث عن فقدان الأوروبيين الثقة في حليفهم التقليدي الولايات المتحدة، الذي لم يعد يلقي بالألم لمصالحهم ومخاوفهم.

شهدنا آخر فصول هذا الخلاف في سحب الولايات المتحدة لـ 9500 جندي أمريكي من ألمانيا دون التشاور مع ألمانيا أو الناتو. في الرابع من حزيران قدم سيناتور أمريكي مشروع قانون لتوسيع العقوبات المفروضة على خط الغاز الروسي - الألماني نورد ستريم 2. وقد تزامن كل هذا مع رفض المستشار الألمانية الدعوة لحضور اجتماعات السبعة الكبار في الولايات المتحدة. شهدنا في السنوات الأخيرة الكثير من التناقض بين برلين وواشنطن في مسائل، مثل: الناتو واللاجئين والتجارة واتفاقية باريس للمناخ والاتفاق النووي مع إيران والعلاقات الألمانية الروسية. ويجب أن نفهم بأن هذه الخلافات ليست محدودة بهاتين الدولتين، بل تمتد لكامل أوروبا.

تتعامل الولايات المتحدة مع الدول الأوروبية، بوصفها منافساً اقتصادياً وليست شريكاً استراتيجياً. لقد فرضت رسوماً جمركية على صادرات أوروبا من منتجات الألمنيوم. وتظهر عداؤها للانضمام الأوروبي يعاني وسعادتها بمشاهدة الاتحاد الأوروبي يعاني ويتهدد بالانهيار. كما أن الولايات المتحدة لم تعد تؤمن بأن التحالف مع أوروبا له قيمة إيجابية، ولهذا تعيد تقييم مدى مساهمتها في الحماية العسكرية لأوروبا.

ولأن الأوروبيين كانوا معتادين على حماية الولايات المتحدة وتنسيق سياساتهم معها، فقد باتوا يشعرون بضرورة التغيير اليوم بما يتناسب مع الوضع الجديد، ولهذا فإنهم مجبرون على الانفتاح على القوة القادرة على تقديم أشياء ملموسة لهم من قبيل الاستثمار في دولهم، أو فتح الباب لشركاتهم للعمل في سوقها. وحتى العقوبات الخاصة بالمنافسة بين الشركات ستختفي، كما يقول الباحث الاقتصادي باي مينغ: «أظن بأن التعاون في طور التقدم، فالأوروبيون سيديرون بأن عقد الأعمال مع الصين أكثر أهمية من الجدل حول التجارة العادلة».

إن التغيرات الجذرية الاجتماعية والسياسية التي تعكس التغيرات العالمية وتحدث اليوم في دول أوروبا ستدفع هذه الدول إلى السعي لتثبيت المزيد من العلاقات الثنائية مع الصين. فالتيار الشعبي المتزايد نموه في أوروبا يناهض العولمة الأمريكية، ويؤيد النزعات القومية الداخلية، الأمر الذي يضع صانعي السياسة في هذه الدول في تناقض متزايد مع الولايات المتحدة والانفتاح مقابل على دول مثل الصين وروسيا.



ماكول بأن يدعو مؤخراً إلى تعاون أمريكي-بريطاني لمواجهة أفعال الحزب الشيوعي الصيني، «بذات الروح التي كانت موجودة بين الدولتين في أثناء الحرب الباردة».

لكن بريطانيا، إن قامت بالانحياز إلى جانب الولايات المتحدة، فستتهجر بشكل كلي التزامها بسياسة «بريطانيا العالمية» التي ذهبت إلى بريكتز على أساسها. كما أن بريطانيا تسعى للتنمية الاقتصادية والإتجار مع العالم، وخاصة مع بلدان آسيا-الهادئ. وتبعاً للموقع الذي يحتله الاقتصاد الصيني اليوم في العالم، فالصين تملك مفاتيح هامة لتعزيز اتجاه «بريطانيا العالمية».

وتبقى بريطانيا إحدى أهم وجهات الاستثمار الصيني في أوروبا، ولهذا فمن غير المتوقع أن ينحسروا السياسيون البريطانيون المؤيدون للولايات المتحدة في إلحاق بريطانيا بالمعسكر الأمريكي. ويأتي في هذا السياق، ورغم الأحاديث الكثيرة عن منع شركة هواوي الصينية من إنشاء الجيل الخامس على خلفية اتهامات التجسس الأمريكية لها، فقد أعلنت شركة هواوي عن الحصول على «ضوء أخضر» من السلطات البريطانية المعنية لبناء مركز أبحاث وتطوير في كامبريدج. وقد طلبت الشركة رخصة بناء في عام 2019 أقرتها السلطات، ستمتد المنشآت فيها على مساحة 50 ألف متر مربع، وستخلق في المرحلة الأولى 400 وظيفة.

لا أحد يملك ترف رفض الصين

أولاً: من المتوقع أن يصبح 300 مليون صيني من الطبقة الوسطى في 2030، وأن يتبعهم 300 مليون آخرين في عام 2049. ومن المتوقع أيضاً أن يصل قرابة 600 مليون شخص إلى الطبقة الوسطى العليا في 2049. لقوة الاستهلاك الداخلي الصيني التي تصاحب التنمية المستمرة والثابتة للصينيين الكثير من المضامين، منها: مناعة الاقتصاد الصيني ضد أي عمل تقوم به الولايات المتحدة أو أوروبا اللتان اعتادتتا على استخدام أسواقهما

الأمريكية بالغليان.

ومن وجهة نظر استراتيجية عامة، فالعلاقات الصينية مع كل دولة أوروبية على حدة ستدخل مراحل أعمق مع فهم الأطراف لبعضهم البعض، وتعميقهم للنقاط المشتركة فيما بينهم. أدرك الاتحاد الأوروبي بأن مصالحه الحيوية متصلة بالتعايش بشكل متناغم مع الصين، ولهذا سيتزايد رفض الأوروبيين للوقوف في صف واحد مع الأمريكيين.

البريطانيون المنقسمون

يحاول البريطانيون، وهم الذين خرجوا من الاتحاد الأوروبي ولكنهم غير قادرين على نقل بلادهم من مكانها، أن يكتشفوا طريقهم القادم، الأمر الذي يحتمل أن يؤدي بهم إلى الابتعاد عن الأمريكيين. مؤخراً، كان هناك بعض السياسيين البريطانيين يعيدون الخطاب الأمريكي المناهض للصين بنبرة صوت مرتفعة. كما هو الحال مع توم توغندات، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان البريطاني الذي صرح: «التهديد الذي اعتادوا تقوية مراقبة الدولة مهددون بالاستبعاد»- الأمر الذي يخاطر بالرسوم التي دفعها أثرياء الصين الجدد، وهو ما سيحول الضغط إلى الحكومة الصينية».

وتوغندات ليس وحيداً، فهناك مجموعة للمناهضين للصين، أمثال آخر حاكم لهونغ كونغ كريس باتن، والذي صرح بدوره فيما يخص قانون الأمن القومي الصيني لأجل هونغ كونغ: «إنه خيانة لشعب هونغ كونغ... والحكومة الصينية تستغل الوباء للتحكم بشؤون هونغ كونغ». وقد صرح توغندات بذات الموضوع: «يجب أن نقف للدفاع عن الديمقراطية في الصين».

وتحاول الولايات المتحدة أن تستميل المملكة المتحدة لصفها في استراتيجيتها لاحتواء الصين في جميع المجالات، وهو السبب الذي دفع بعض الكونغرس الأمريكي مايكل

أمريكا تؤذي حلفائها

يبدو الطرف الأمريكي معزولاً أكثر فأكثر، وهو وضع يثبت بمعزل عن العلاقة بين أوروبا والصين، وذلك بفعل الاتجاه الأمريكي لتحميل الأوروبيين أعباء أكثر مما يستطيعون احتمالها. فالولايات المتحدة لم تستهدف بإجرائاتها الصينيين وحسب، بل الأوروبيين أيضاً في عدة نواحي، مثل: الأمن الإقليمي والتجارة. وقد دفع هذا بصناع السياسة الأوروبيين للانفصال بشكل متزايد عن الولايات المتحدة.

صرح جوزيف بوريل، الممثل السامي للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسات الأمنية: «أفهم أن مسألة تقديم الصين بوصفها منافساً منهجياً يبدو أمراً جديلاً، لكن هذا لا يعني بأن أوروبا ترى الصين بوصفها تهديداً على الأمن». وقد أوضح بوريل أن الاتحاد الأوروبي يجمعه الكثير من الأمور المشتركة مع الصين، وبأن أوروبا تقف موقفاً مختلفاً بشكل جذري عن موقف الولايات المتحدة من الصين.

وحتى في مسألة التشريع المركزي المتخذ في بكين حيال الأمن القومي في هونغ كونغ، والذي تستغله الولايات المتحدة بمحاولتها احتواء الصين، لا تشترك أوروبا مع الولايات المتحدة في الإجراءات الواجب اتخاذها رغم تعبيرها عن قلقها من قرار الحكومة المركزية الصينية. فكما علق بوريل: «لا أظن بأن العقوبات ستحل المشاكل في الصين»، ما يجعل موقف أوروبا والولايات المتحدة متمايزاً كلياً.

التناقضات بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي في مسائل، مثل: السياسة العالمية والاقتصاد واضحة بشكل جلي. ومثالها الأبرز، مسألة حلف الناتو والتجارة الحرة. ترى واشنطن بأنها فعلت الكثير ولم تتلق مقابلة أي شيء. هناك منازعات منهجية ضمن العلاقات الأحادية، وهذا لم يكن ولن يكون مرتبطاً بنهاية إدارة أمريكية وقدم أخرى. ولهذا يتوقع أن تستمر العلاقات الأوروبية

تحاول الولايات

المتحدة أن

تستميل المملكة

المتحدة لصفها

في استراتيجيتها

لاحتواء الصين في

جميع المجالات

التسميم الإعلامي للجمهور



وشاهدنا دورها خلال الأزمات في مختلف بلدان العالم.

الحرب الإعلامية هي عبارة عن بث الأفكار، والإشاعات، والمعلومات الخاطئة والمغلوبة وغير السوية بين الناس من خلال الفضائيات، والإذاعات، والإنترنت، والجرائد بهدف تغيير وجهات النظر وتسييرها باتجاه ما هو مطلوب منها، وتحقيق التضليل الإعلامي، والتلاعب بالرأي، والوعي العام، وسلوك المواطنين، وتعد الحرب الإعلامية من أخطر أنواع الحروب نظراً لتأثيرها في نفسية متلقي المعلومات والمواد الإعلامية، لدرجة تبني هذه المعلومات والدفاع عنها. كما تأتي الحرب الإعلامية مرافقة لبقية أنواع الحروب سواء كانت عسكرية، أم اقتصادية، أم سياسية، وقد تكون في حالة السلم بهدف إفساد عقول الناس ونشر الفوضى والإرباك بينهم.

تؤدي الحرب الإعلامية إلى التأثير في نفسية المستمع، وتبسيط عزمته، وسلب الإرادة منه، وبالتالي سهولة السيطرة عليه، فكم من حرب تم تحقيق النصر فيها بسبب ما تم بثه من أفكار ومعلومات، ونظراً إلى أهمية الحرب الإعلامية امتلكت القوات العسكرية محطات خاصة بها، لتبث ما تريد من معلومات بين المواطنين وبين الجنود للتحكم في سير الأمور. ولعل أكثر أدوات الحرب الإعلامية خطورة تلك التي تكون مستترة تحت ستار العلم والثقافة والأدب والمساعدة والمنتج الجامعية والعلمية عبر المنظمات غير الحكومية، التي تمارس القمع الناعم للجمهور، وبالتالي تنفيذ الهيمنة الثقافية.

عليه، بل وتوجيه وعيه نحو سياسات معينة. فحين يتجاهل الإعلام الغربي الجرائم الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني، يقيم الدنيا ولا يقدها إذا ما تعلق الأمر بموضوع إلقاء القبض على عنصر مخبرات غربي أدین بجرم التجسس المشهود. وهذا جانب من جوانب الألعاب الإعلامية للرأسمالية في مصادرة حق الشعوب في حرية الإعلام، وفرض التبعية الإعلامية عليهم.

الحرب الإعلامية

الحرب الإعلامية شكل من أشكال الصراع التي تعتبرها وسائل الإعلام سلاحاً قيمياً، ويمكن أيضاً تعريف الحرب الإعلامية كحرب معلومات باستخدام الوسائط المتعددة. إن فكرة حرب المعلومات صالحة سواء في أوقات الحرب أو السلم، ولكن دائماً تجري في سياق الصراع. فجميع وسائل الإعلام يمكن حشدها: الصحف والملصقات والمنشورات والسينما والتصوير، وأيضاً وسائل الإعلام على شبكة الإنترنت من اتصالات وشبكات اجتماعية، ومدونات وصحف إلكترونية ومنتديات وندوات.

وأول حرب إعلامية تم تحديدها في التاريخ الغربي خلال الحرب العالمية الأولى، للمرة الأولى حشدت جميع وسائل الإعلام الصحف والملصقات والنشرات والسينما والصور الفوتوغرافية، إلخ. ولكن وفقاً للمؤرخ العسكري بيار رازو، فإن أول استخدام واسع النطاق للحرب الإعلامية يعود إلى الحرب العالمية الثانية. ولكن تطورت أدوات الحرب الإعلامية في القرن الواحد والعشرين إلى حد كبير،

وفقاً للمؤرخ
العسكري بيار
رازو فإن أول
استخدام واسع
النطاق للحرب
الإعلامية
يعود إلى الحرب
العالمية الثانية

يمكن أن يلعبه الإعلام، لصالح الكيانات السياسية، لذلك فقد نجحوا في تجيير العمل الإعلامي بهدف تمرير المخططات السياسية والاجتماعية، وشن الحروب النفسية ضد الشعوب والبلدان المختلفة. وأقرب مثال في هذا المجال، هي: الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفييتي في القرن الماضي. إن التلازم بين الإعلام والسياسة، هو من أكثر الظواهر الملموسة لدى أي مجتمع، لدرجة غدت هناك استحالة للفصل بينهما في العديد من البرامج والمواد الإعلامية، إذ لا سياسة دون إعلام وبالعكس، ويمثل الإعلام دعامة كبرى للسياسة.

غياب التوازن سمة رئيسية في الإعلام الغربي، لهدف منع الجمهور من تلقي معلومات معينة، لذلك يجب تغطية ذلك بمعلومات تبرر سياسات المنظومة الرأسمالية القائمة، وتسمم العقول، ولكن بشكل محايد!

تأثير الحرب الإعلامية

قد يظن أن من النتائج الاعتيادية التي تتركها عروض المواد الإعلامية المختلفة، ليس لها أكثر من تأثيرات وقتية عابرة في نفوس الجمهور المتلقي لتلك العروض الإعلامية، وأن كينونتها تمر في الأذهان مرور الكرام، وأن موقف إبداء المرونة من الأشياء، مسألة مقتزنة عند عموم المتلقين للإعلام، بتفهم واع يتجاوز أطر التفكير الذاتي، وأن الاتجاه نحو الموضوعية هو الأمر الغالب في المواد الإعلامية. ولكن، تلك المواد تلتصق بالجمهور وحياتهم اليومية الاجتماعية، وتتواصل عملية التراكم هذه لتأدية هدف واحد، هو: تسميم الجمهور إعلامياً والسيطرة

محاولات تسميم عقول الناس عبر وسائل الإعلام، هي إحدى أدوات الحرب النفسية الإعلامية، التي تهدف إلى توجيه الجمهور نحو حالة من الجمود، وتركيب ثوابت مصنعة متجذنة وضارة بمعارف الجمهور المتلقي للإعلام.

قاسيون

ومن أشهر مدارس الحرب النفسية الإعلامية، هي المدرسة الغربية التي تشكل بمجموع مؤسساتها الإعلامية المتنوعة، مرتعاً لإظهار الغرب وكأنه يمثل منظومة خالدة، وكل ما يخالفه لا وجود له، أو لا يمكن أن يكون جديراً لوضع الحلول أمام القضايا التي تواجه البشرية.

حرب الصور والكلمات

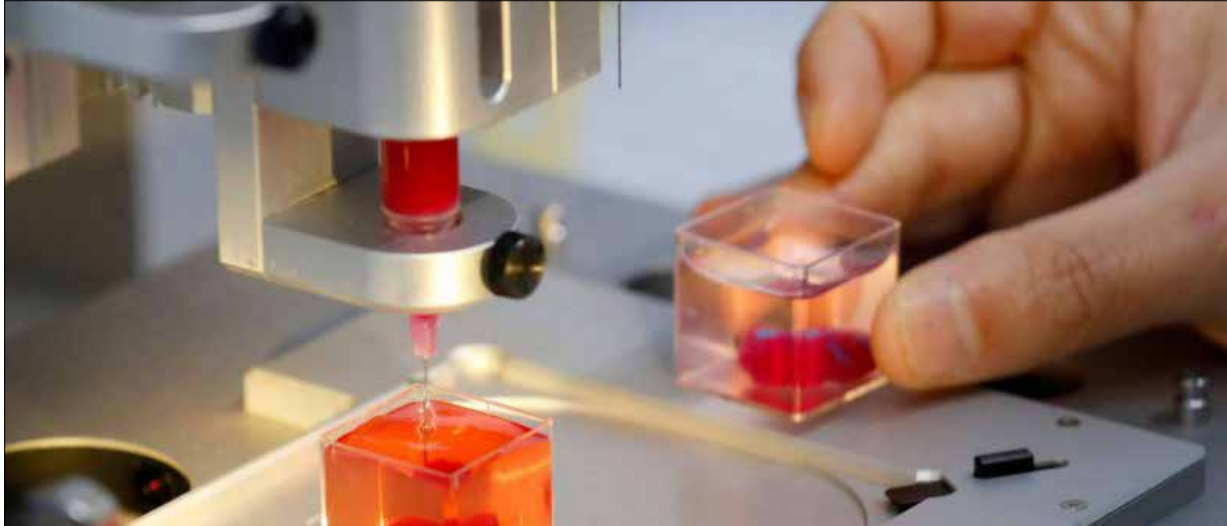
يلاحظ، أن موضوع شن الحرب النفسية الإعلامية نهج كامل عند الإمبراطوريات الكبرى المالكة لوسائل الإعلام الجماهيرية، ورغم الجهود الإعلامية الهائلة المبذولة، لم تستطع حرب الصور والكلمات تحقيق هدفها النهائي: تآبيد الرأسمالية في أذهان الجمهور المتلقي.

ومع أن الحرب النفسية الإعلامية حين تتجاوز جغرافية المكان، وطبيعة البيئة المجتمعية، إلا أن أعداد الذين يستيقظون تنصاعاً، وتكذب كلام البرامج الإذاعية، وصور برامج التلفزة.

الإعلام غير محايد سياسياً

لم تشهد أية حقبة زمنية عبر التاريخ البشري، نشاطاً إعلامياً بكل هذا الحجم والوزن، فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعى الساسة الكبار في العالم إلى أن الدور الخطير الذي

طباعة حيوية وقطار بسرعة طائرة



طور فريق مكون من الباحثين نظاماً للطباعة الحيوية ثلاثية الأبعاد غير الجراحية، يستطيع طبع أذن داخل جسم الفأر.

قاسيون

وتستخدم الأشعة فوق البنفسجية، أو الضوء الأزرق عادة، في الطباعة الحيوية لإصلاح الأنسجة المعبية في الجسم الحي، بيد أنه غالباً ما يكون التدخل الجراحي مطلوباً للكشف عن الأنسجة بسبب ضعف قدرة الأشعة فوق البنفسجية على اختراقها. وفي الدراسة الجديدة، استخدم باحثون من جامعة سيتشوان في الصين، وجامعة غنت في بلجيكا وجامعة كاليفورنيا سان ديفغو في الولايات المتحدة، ضوء الأشعة تحت الحمراء القريبة لبلورة الحبر الحيوي داخل الجسم دون شقوق جراحية. ووفقاً للدراسة التي نشرت في مجلة التقدّمات العلمية، قام الباحثون، أولاً: بحقن الفأر بالحبر الحيوي الذي يتكون من خلايا الهيدروجيل والغضاريف. ومن ثم، تم توجيه ضوء الأشعة تحت الحمراء القريبة التي تخترق الجلد لبلورة

الحبر الحيوي في الداخل، في المنطقة المحقونة مع نمط الأذن، وتصلب الحبر الحيوي ليأخذ شكل الأذن ونمت الخلايا الغضاريف في الشهر التالي. ولم يلاحظ أي التهاب أو آثار جانبية كبيرة في الفأر. وقال الباحثون: إن أحدث نظام للطباعة الحيوية ثلاثية الأبعاد غير الجراحية له إمكانية لاستخدامه في إعادة بناء الأعضاء أو إصلاح الأنسجة، مثل التي يكون فيها غضروف الأذن الخارجية متخلفاً أو غائباً.

ومن جهة أخرى، «هواوي» تبني مركزاً لأبحاث الإلكترونيات الضوئية في بريطانيا، ولجنة اعتماد التعليم الطبي الصينية تحصل على اعتراف من قبل الاتحاد العالمي للتعليم الطبي، وبدء التشغيل التجريبي لحافلات النقل العام ذاتية القيادة في مدينة تشونغتشو، ونجاح أول تجربة للنقل المغناطيسي السريع في الصين بسرعة 600 كلم في الساعة. يعد تطوير النقل المغناطيسي عالي السرعة بسرعة 600 كيلومتر في الساعة.

أخبار ثقافية

كانوا وكنا



الشيخ محمد الأشمر واحد رجال معركة ميسلون 1920 ومن قادة الثورة السورية الكبرى 1925 والثورة الفلسطينية 1936، ومن أبرز قادة حركة أنصار السلم في سورية، كما لعب دوراً كبيراً في إيصال مطالب حي الميدان إلى المجلس النيابي، وأطلقت عليه إحدى الصحف الدمشقية لقب «الشيخ الأحمر». من أقواله: «أنا لا أحارب من أجل المال، بل من أجل الاستقلال». في الصورة: ثوار حي الميدان يتوسطهم الشيخ محمد الأشمر في فترة النضال ضد الاستعمار الفرنسي.



ماراثون بوشكين في ماليزيا

أجرى الروس المقيمون في ماليزيا ماراثون قراءة مؤلفات الشاعر الروسي، ألكسندر بوشكين، التي أبدعها في الحجر الصحي ببلدة بولدينو، في إطار تطبيق زوم إلكتروني للتواصل. وقالت رئيسة الجمعية الدولية لناطقى اللغة الروسية في ماليزيا: جميعنا نحب بوشكين، لكن ليس الكل على علم بأن إقامة الشاعر في بولدينو تعد من أكثر المراحل إنتاجاً. وأطلق الأدباء على تلك المرحلة فيما بعد تسمية، «خريف بولدينو»، حيث أجبر على التقيد بقواعد الحجر الصحي المتعلق بتفشي وباء الكوليرا. ولم تتوفر لديه الكتب وقضى 3 أشهر طويلة معزولاً عن العالم، مما سمح له بتأليف أجمل القصائد والقصص والمسرحيات.

حجّر على الكتب

نشرت إدارة «روس بوتريب نادزور/الرقابة على الاستهلاك» توصيات بشأن الحيلولة دون تفشي الفيروس التاجي في المكتبات الروسية، التي فتحت أبوابها اليوم أمام القراء. وجاء في التوصيات: إن أي قارئ يمكن أن يحجز كتباً بطريقة إلكترونية «أونلاين». وأوصت الإدارة كذلك بأن تحفظ كل الكتب بعد عودتها إلى المكتبة لمدة 5 أيام على رفوف خاصة أو في قاعات خاصة قبل أن تسلم مجدداً لقارئ آخر. أما أجهزة الكمبيوتر فيتم تعقيمها بعد استخدامها من قبل القارئ. وعلاوة على ذلك فعلى إدارة المكتبات رسم مسارات آمنة غير متقاطعة، ييسر فيها القراء داخل المكتبة أو قاعة المطالعة.

للانتساب لحزب الإرادة الشعبية بجميع المحافظات.. نرجو الإتصال على الأرقام التالية:

0999212404	حمدا لله ابراهيم	الحسكة	0999725141	صلاح معنا	طرطوس	0944484795	محمد عادل اللحام	دمشق وريفها	الهاتف	الاسم	المحافظة
0933796639	جمال عبدو	حلب	0933763888	أنور أبوحامضة	حملة	0933145891	محمد زهري زهرة	حمص	0968844820	خالد الشرع	درعا
0945817112	محمد فياض	الرقّة	0932801133	زهير المشعان	دير الزور	0988386581	صلاح طراف	اللاذقية	0952769397	هاني خيزران	السويداء

«تم إغلاق تحرير هذا العدد يوم الأحد 2020/06/28» «قاسيون» أصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 2003/12/18

قاسيون ناطقة باسم حزب الإرادة الشعبية بقرار المؤتمر التاسع الاستثنائي في 2011/12/03

الأدب الآشوري القديم



حافظ الناس في الشرق على صور بقيت في ذاكرتهم من الحكايات القديمة والأساطير الشعبية والأدب الملحمي الملون بألوان الشرق نفسه، ملاحم غنائية وقصائد ملحمية تؤرخ حياة شعوب الشرق وقدرتهم على الصمود في وجه المحن المتتالية منذ قرون.

■ لؤي محمد

وفي هذا الشرق، عاش أبناء هذه المنطقة «أكراداً وعرباً وأشوريين وسريان.. إلخ» جنباً إلى جنب منذ آلاف السنين، وتشاركوا الظروف القاسية نفسها، وتبادلوا الخبرات الفلاحية والحرفية.. إلخ. واشتركوا بالألحان الموسيقية رغم تنوعها، وكما في السابق لم يستطع أحدها أن يعيش بمعزل عن الآخر تشترك اليوم أيضاً بالظروف ذاتها والمصير ذاته.

الرسائل والملاحم القديمة

يتألف الأدب الآشوري والبابلي القديم من نصوص كتبت باللغة الآشورية والبابلية بين الألف الثالث قبل الميلاد وعصر ظهور المسيح. وتتناول معظم الألواح المسمارية العلوم والاقتصاد والسياسات الإدارية والقانون بما في ذلك واحدة من أعظم الوثائق القانونية على الإطلاق، ألا وهي شريعة حمورابي، وبعضها على شكل رسائل

رسمية. ومع ذلك فهناك مجموعة من الأنواع الأدبية الصرفة الأخرى، من بينها ملاحم وأساطير وسجلات تاريخية وحوليات وقصص حب أسطورية على شكل أشعار وترانيم وأدعية وتعاويذ وطقوس، ونصوص تتناول السحر والنبوءات ومجاميع الأمثال والحكم وقواعد سلوك والمجادلات الحوارية والصور الأدبية الغربية بين الحيوانات والأشجار التي تتعامل مع البؤس الإنساني.

وأغلب هذه المجموعة من الأدب كتب باللغة البابلية التي كانت مستخدمة في القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين «العراق حالياً». بينما تشمل النصوص المكتوبة باللغة الآشورية التي كانت مستخدمة في الشمال على كتابات تاريخية ووثائق عمل وأجوبة الآلهة وطقوس ورسائل رسمية. لعبت الألواح المسمارية دوراً كبيراً في حفظ الآداب الآشورية والبابلية، ومنها آلاف الألواح التي كانت قد جمعت في مكتبة نينوى «سرق الاستعمار البريطاني الكثير منها» إن أطول قصيدتين ملحميتين بابليتين هما: ملحمة الخلق، وملحمة كلكامش. وتتألف الأولى من سبعة ألواح وتتناول الصراع بين الأمر الكوني «الإلهي» والفوضى البدائية. وتتعلق ملحمة كلكامش التي كتبت حوالي 2000 قبل الميلاد على 12 لوح مسماري بالبحث العقيم لبطل الملحمة عن الخلود.

وكان للقصيدة الملحمية - التي نسجت ببراعة وعلى نحو متصل، والتي أخذت من سلسلة حكايات سومرية منفصلة قديمة - جاذبية شعبية كبيرة في تلك العصور القديمة، وتشير إلى شخصية

وقلوبهم
مغلقة يملكون
بجانبا ولا
يلتفتون إلينا نحن
عطشى وهم لا
يروننا نحن جياع
وهم متخمون

يلتفتون إلينا، نحن عطشى وهم لا يروننا، نحن جياع وهم متخمون». وتكمل التساؤلات في مقطع ثان: «إلى متى سيبقى أبونا العجوز، يزرع الحنطة، ولا يحصل على الذهب، إلى متى سيبقى بانتظارنا، ويدها مجروحة من حراثة الأرض». وتؤكد في النهاية على إرادة الناس: «أيها الحصادون قوموا، واحصدوا حصادنا، فقد حان الوقت لنكسر القيد».

التأثيرات المتبادلة

يحمل التراث الآشوري، كغيره بقصص الحب والعشق والبطولات والمآسي والحنين.. إلخ، وكغيره أيضاً، يعاني هذه التراث من كونه لم يحفظ ويُدون كله، ويعود سبب ذلك في جزء منه إلى طبيعة الشعب «الفلاحية»، وإلى ظروف التهجير والهجرة التي عاشها. مما جعل أثره تنتقل شفاهياً عن طريق الأغنية الشعبية والقصيدة الغنائية، والأمثال وغيرها، وهذا ما ينطبق على الأدب الكردي أيضاً، رغم التفاوت النسبي بينهما في هذه المسألة. ويلاحظ التأثير والتأثير المتبادل بينهما، والذي غالباً ما يغفله الباحثون في دراساتهم عند دراسة الأدب والتراث الشفاهي، وهو ما ينطبق على الشعوب الأخرى كالعربية وغيرها.

فعلى سبيل المثال: هناك الحكايات الآشورية الفولكلورية القديمة، مثل: «الراوي» و«الليلىانا» القادمة أصلاً من قرى منطقة هكاري، والتي تنتشر بين الأكراد أيضاً، وهي واحدة من الأمثلة على تأثير أدب شعوب الشرق ببعضها منذ قرون طويلة. وكذلك هي واحدة من القضايا التي تجاهلها المستشرقون الغربيون وفقروا من فوقها عمداً.

شبيهة بشخصية النبي نوح الذي نجا من الطوفان الكبير. وتخبرنا ملحمة زو عن سرقة الألواح الخاصة بالقضاء والقدر من الآلهة، والتي سرقها الطير الشرير زو وجرى استعادتها على يد الإله المحارب نينورتا. وفيها قصة البحث عن شجرة الولادات والمنشأ على يد الراعي ايتانا، الذي أسس في نهاية الأمر أول سلالة حاكمة بعد الطوفان. وهناك ملحمة نركال وأرشكيكال التي تتعلق بزواج الإلهين اللذين حكما العالم السفلي «الجحيم». ومن بين الأعمال المهمة الأخرى اليهودسية البابلية، وهي حوار شعري حول رجل صابر صالح يشبه النبي أيوب. وهناك القصة الفولكلورية لشخص مستضعف من نيبور، التي يبدو أنها أصل إحدى حكايات ألف ليلة وليلة. وقصة ملك البؤساء التي تتناول الحملة الحربية على الأناضول بقيادة الملك الأكدي سرجون الأول «الذي حكم في الفترة من 2335-2279 قبل الميلاد».

الحصادون

تعود أغنية «أيها الحصادون»، وهي أغنية من الفلكلور الآشوري مثلاً، إلى مئات السنين، وترثي كلمات هذه الأغنية حال الفلاح الآشوري الذي طحنه ظلم الأغنياء، وتدعو الفلاحين للنهوض إلى الحصاد وكسر القيود، وتوصف حقول القمح وبساتين الكروم المترامية التي تنهب، وتتساءل عن حصّة من يزرع ويحصد ولا يحصل على شيء! توصف كلمات أحد المقاطع ما يفعله الأغنياء قائلة: «وقلوبهم مغلقة، يملكون بجانبنا ولا